دراسات في العقيدة الاسلامية
في ضوء
القرآن الكريم والسنة الشريفة

تأليف
د. عزة محمد حسن
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الاسلامية والعربية
جامعة الازهر – فرع القاهرة للبنات

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وشرف آدم أبا البشر بخلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وكرمه وذريته فخلقهم في أجمل صورة وأحسن تقويم ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات وزودهم بالعقل ليعرفوه وأمدهم بالنعم ليذكروه ويشكروه .... أنزل الكتب واصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس لابلاغ عباده شرائعه من الدين ليعبدوه ويوجدوه فتكمل بذلك آدميتهم وتشرف به انسانيتهم .

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وصفوتهم خاتم الرسل والانبياء سيدنا محمد النبي الهادي وعلى آله وصحابته ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ... فانه نظرا لاهمية العقيدة الاسلامية في حياة المسلمين حيث أنها كانت دعوة كل الرسل السابقين وهي الدعوة الاولى للرسول - صلى الله عليه وسلم - منذ أعلن أنه رسول الله . فكانت لها أهميتها فهي بمنزلة الاساس من البناء في كل دعوة .

وكما نعلم فان مصدر العقيده في عصر الوحي كان القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والسنة الصحيحه التي لا يخالطها الشك أو الريب ولا يتطرق اليها الظن أو الوهم لذلك كانت العقيده واضحه جليه لا لبس فيها ولا غموض وهي سمه من أبرز وأوضح صفات تناول القرآن الكريم والسنه الشريفه لعقيده الاسلام .

من أجل ذلك كانت هذه العقيده قريبه من الافهام فلم يتعثر في فهمها أحد سواء العامه من الناس أم الخاصة وذوى الفكر منهم . فكان الايمان بهذه العقيده قوامه الوضوح واحترام استنانيه الانسان في ادراكه وفهمه وعقله وفي حواسه وجوارحه وفي مشاعره ووجدانه وفي روحه ونفسه وكان هذا هو المنهج الذى اتبعه الرسل جميعا في عرض العقيدة على البشر كافه وكما ذكرنا كان عرضا يعتمد على السهوله والسلاسة والمنطق والفكر فيثير عقولهم ويوقظها ويحثها على التفكير في آيات الله تعالى وآلائه .

وعلى هذا الطريق وطبقا لهذا المنهج مضى الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يغرس هذه العقيدة في أفئده الناس وهكذا بقيت العقيدة تستمد قدسيتها من وحي الله تعالى وتعاليم السماء وتعتمد أول ما تعتمد على الكتاب والسنه حتى كانت الخلافات السياسية والاتجاهات المذهبيه

الفكرية والدينية ومحاوله تحكيم العقل فى القضايا الايمانيه وفيما لا قدره له عليه سببا فى العدول عن منهج الرسل والانبياء وفى الاتجاه بالعقيده من السهوله والبساطه والوضوح الى التعقيد والتركيب والمناقشات العقليه والاقيسه المنطقيه والقضايا الفلسفيه .

لذلك سوف نتناول بالدراسة والبحث فى هذا الكتاب المتواضع أشرف وأسس المسائل والقضايا ألا وهى القضايا الايمانية وأجل وأعظم علم ألا وهو العلم الباحث فى العقيدة الاسلاميه .

هذا وقد قمنا بتقديم القضايا الاساسيه لعلم العقيدة كما تحدث عنها العلماء فى ثلاثه أصول وهى الالهيات والنبوات والسمعيات وقبل أن نبدأ فى دراسه هذه القضايا ينبغى علينا أن نقوم بدراسه تمهيديه تعرفنا بهذا العلم تعريفا ونشأه كما تعرفنا بالدين وضرورته للبشريه .

وقد قصرنا حديثنا فى هذه الدراسه التمهيديه على هذين الفصلين .

الفصل الاول : فى التعريف بعلم العقيده ونشأته

الفصل الثانى : فى التعريف بالدين وضرورته للبشرية

والله العلى القدير أسأل أن ينفع به من يدرسه
وأن يوفقنا الى الحق فهو سبحانه وتعالى ولى التوفيق
وهو الهادى الى سواء السبيل .
" ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا "

د . عزه محمد حسن
مدرس العقيدة والفلسفة

الفصـــل الأول

١ ـ تعريفـــــه

٢ ـ موضـوعـــه

٣ ـ ألقـابـــه

٤ ـ تاريخـــه ونشـــأتـه

٥ ـ علاقته بالفلسفة والفرق بينه وبينها

٦ ـ فوائـــــده

علم التوحيد هو العلم الذى يبحث فى العقيدة الاسلامية التى دعا اليها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم والتى اشتمل عليها القرآن الكريم وبيناها الدعوة الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وتنحصر فى ثلاثة قضايا هى :

الالهيات — النبوات — السمعيات

ولنبدأ أولا فى التعريف بهذا العلم :

لقد عرف هذا العلم بتعاريف شتى ولكن سنكتفى بعرض أحد هذه التعريفات وهو تعريف المتكلمون :

فقد عرفه المتكلمون بقولهم :

هو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه أى أنه علم بأمور يحصل معه — حصولا دائما — قدرة تامة على اثبات العقائد على الغير والزامه اياها بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها .

والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد كقولنا الله تعالى عالم وقادر لا ما يقصد به العمل كقولنا الصوم واجب .

أما المراد بالدينية أى المنسوبة الى دين محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

أما موضوع علم التوحيد : فقد اختلف فى تحديده على أقوال أشهرها الآتى :

١— قيل أن الموضوع هو : المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينية .

٢— وقيل : ان الموضوع هو ذات الله تعالى ، اذ يبحث فى هذا العلم عن صفات الله تعالى من حيث وجوده ، ووحدانيته وغيره من بقية صفاته تعالى ثم أفعاله فى الدنيا كاحداثه للعالم وفى الآخرة كالحشر للأجساد وعن

(١) المواقف فى علم الكلام القاضى عبد الرحمن بن أحمد الايجى . عالم الكتب بيروت ص ٧

أحكامه فيها كبعث الرسل والثواب والعقاب ٠

٣ـ وقيل ان الموضوع هو الموجود بما هو موجود أى من حيث هو غير مقيد بشىء واذا كان موضوع الفلسفة الالهية هو نفس موضوع علم الكلام ـ بحسب هـذا الرأى ـ فان هناك فرقا أساسيا بينهما يتمثل فى أن علم الكلام يكون البحث فيه على قانون الاسلام أى ما علم قطعا من الدين ٠

أما الفلسفة فالبحث فيها قائم على قانون العقل ، اذ يشترط فى الكلام شـرطان :

أحدهما : أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل ٠

والثانى : أن تكون العقيدة قد وردت فى الكتاب والسـنة ٠

ولو فات أحد هذين الشـرطين لا يسمى كلاما أصلا ٠ (١)

ألقابـه:

أما عن ألقاب هذا العلم فكثيرة أهمها :

١ ـ علم التوحيـد والصفـات:

حيث أطلقت هذه التسمية على هذا العلم تسمية له بأشهـر وأفضل قضاياه المدروسة ، بل بأهم أجزائه وهو اثبـات الوحـدة لله فى الذات والفعل فى خلقه الاكوان وانه وحده مرجع كل كـون ومنتهى كل قصد) (٢) فالحديث ذات الله تعالى وصفاته هـو أكثر الاحاديث التى بحثت ودرست فـى هذا العلم حيث أنـه أهم قضيه فى هذا العلم ٠

---

(١) المواقف فى علم الكلام ٠ القاضى عبد الرحمن بن أحمد الايجـى عالم الكتب بيروت ٠ ص ٧ ، ٨

(٢) رسالة التوحيد للامام محمد عبده ط الثانية دار المعارف بمصر ص١٨

٢ـ علم أصول الدين :

حيث أنه العلم الباحث فى الاصول الاساسية للدين، ألا وهى الالهيات والنبوات والسمعيات.

٣ ـ علم الفقـة الاكـبر :

لقب بذلك فى مقابل الفقه الاصغر وهو العلم الباحث فـى الاحكام العملية الشرعية.

(ويوضح الامام أبـى حنيفه رضى الله عنه السبب فى تسميتـه بالاكبر فى مقابل علم الاحكام الشرعية فيقول :

" الفقه فى الدين أفضل من الفقه فـى العلم لان الفقـه فى الدين أصل والفقه فى العلم فرع وفضل الاصل على الفـرع معلوم قال تعالى " ان الدين عند اللـه الاسـلام " ولا شـك أن العـهد يلزمه الاسلام أولا بقوله تعالى "وما خلقت الجـن والانس الا ليعبدون" أى ليوجدون ثم العلم بين على الديـن فصار الدين هو التوحيد والعلم هو الديانه يعنى الشرائـع وهو بعد التوحيد ثم الدين عقد على الصواب والديانه سبر علـى الصواب) (١)

٤ـ علم النظر والاستـدلال :

حيث أنه العلم الذى عن طريقه يتم البحث والنظر واقامـة الادلة على تلك القضايا العقيدية واقامة الحجة والبراهـين القطعيـة.

---

(١) التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية.. د. مصطفى عبد الرازق ص٢٦٨ نقلا عن كتاب الفقه الاكبر للامام أبى حنيفه.

٥ـ علـــم الكـــلام :

لقد اختلف فى سبب تسمية هذا العلم بعلم الكلام وهنـــاك عدة تعليلات فى تفســـير اطلاق هذا اللقب عليه منها :

أ ـ تعليل يقول أن سبب هذه التسمية لهذا العلم هـــو تسمية الكل باسم البعض حيث أن صفة الكـــلام من الصفات التى أثير حولها الكثير من النزاع بيـــن علماء الكلام لذلك سمى العلم كله باسمها .

ب ـ وهناك تعليل لصاحب المواقف فـــهو يقول (١) بأنـــه سمى بذلك باعتبار ثمرته حيث يكسب الدارس لـــه قدرة علـى الكلام والرد على المجادلين المبطلين للحـق والزامهم بالحجة والدليل .

جـ ـ ويعلل البعض هذه التسمية تقديرا له حيث أنه بمكانـة وأهمية تلزمنا بتعليمه للطفل مع تعلمه للكلام لحاجتنـــا اليـــه فى حفظ ديننا والدفاع عـــنه . وللدكتور / مصطفى عبد الرازق رأى فى هذا حيث يقول :

" ويبدو لى أن البحث فى أمور العقيدة كان يسمـــى كلاما قبل تدوين هذا العلم وكان يسمى أهل هـــذا البحث متكلمين . فلما دونت الدواوين وألفت الكتب فى هذه المسائل أطلق على هذا العلم المدون ماكـــان لقبا لهذه الابحاث قبل تدوينها وعلما على المتعرضين لهـــا) (٢) .

---

(١) المواقف للقاضى عبد الرحمن الايجى ص ٩
(٢) التمهيد د . مصطفى عبد الرازق ص ٢٦٥

تاريخه ونشأته :

حال العقيدة قبل عصر النبوة :

كانت الجزيرة العربية تموج بالكثير من المعتقدات المختلفة والتي ذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى " ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد " (١) فقد كان هناك اليهود والنصارى وهم الذين تحدث القرآن الكريم عن عقيدتهم بقوله تعالى " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون " (٢)

وقد أوضح القرآن الكريم ما كان بينهم من النزاع والخصام بقوله تعالى :
" وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء " (٣)

ثم كان هناك العرب المشركون وهم فرق منهم من أنكر البعث وقد أشار اليهم القرآن الكريم بقوله تعالى " وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم " (٤)

ومنهم من آمن بالله ولكنهم أشركوا به فعبدوا الأصنام بدعوى أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى ، قال تعالى : " ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون " (٥)

---

(١) سورة الحج آية "١٧"

(٢) سورة التوبة آية "٣٠"

(٣) سورة البقرة آية "١١٣"

(٤) سورة يس آية "٧٩"

(٥) سورة الزمر آية "٣"

ثم كان هناك الصابئة عباد الكواكب والمجوس عباد النار حيث كان المجتمع العربى ملىء بالكثير من الطوائف المتعددة فى عقائدها . فكان للقرآن الكريم موقفا مع هؤلاء المخالفين له من أرباب الأديان والملل حيث تكفل القرآن الكريم بالرد على الشبهات التى كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد وذلك عن طريق الحوار والجدال فأبطل عقائدهم جميعا بل وطالبهم بالدليل عليها وهنا يمكن أن يقال بحق أن القرآن الكريم قد تعامل مع الفكر الدينى العالمى كله الموجود حينئذ . وبما أن منهج هذه الفرق كان منهجا عقليا ومنطقيا ماديا — فقد تعامل القرآن الكريم مع هذا الفكر تعاملا عقليا فكان يحاور ويهز عقول هؤلاء المخالفين ويجادلهم بالحجج معتبرا العقل أساس هذه المجادلة وكثيرا ما يتكرر فى مجادلة هؤلاء قوله تعالى " مالهم بذلك من علم " و " قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " و " ان هم الا يظنون " ... ولم يكتف القرآن الكريم فى مجادلتهم بمطالبتهم بالدليل فحسب — بل ناقشهم فى عقائدهم وتفاصيلها فبين لهم أنها باطلة — بل وبرهن على هذا البطلان . ففى مجال مناقشته لليهود والنصارى نجد أن القرآن الكريم قد تحدث كثيرا عن بنى اسرائيل ومواقفهم مع نبى الله موسى عليه السلام وكفرانهم بنعم الله تعالى المتعددة عليهم ثم عبادتهم للعجل وقولهم عزير ابن الله .

كما تحدث القرآن الكريم عن النصارى وتأليههم للمسيح وأثبت بشريته ورسالته بل وناقش فكرة أن يكون لله ولدا فى أكثر من موضع . فقد قال تعالى : " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون " (١)

---

(١) سورة التوبة آية " ٣٠ "

وفى اثبات بشرية المسيح قال تعالى :

" ماالمسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام " (١)

ثم بين أن الكون كله لله وأن قدرته تامة فقال تعالى :

" ولله ملك السماوات والأرض " (٢)

اذن فليس الله تعالى بحاجة الى الولد لأن العاجز وحده هو الذى يحتاج الى الولد الذى يعينه وهو سبحانه وتعالى الغنى الحميد ، لذلك قال تعالى :

" وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السماوات والأرض الا آتى الرحمن عبدا .. " (٣)

ولم يكتف القرآن بدحض أقوالهم بل أحرجهم عند ما طالبهم بتطبيق ماجاء فى التوراه والانجيل فقال تعالى :

" قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم " (٤)

واتهمهم بأنهم حرفوا التوراة والانجيل وشوهوهما وحرفوا الكلم عن مواضعه والا فقد كان عيسى عليه السلام مصدقا لموسى ومبشرا بمحمد قال تعالى :

" واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لمابين يدى

---

(١) سورة المائدة آية "٧٥"

(٢) سورة الجاثية آية "٢٧"

(٣) سورة مريم آية "٩٣"

(٤) سورة المائدة آية "٦٨"

من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (١)

وفي مجال مناقشته للصابئة " عباد الكواكب " :

يبين القرآن الكريم في يسر أن الكواكب التي عبدوها لاثبات لها ولا ارادة في حركتها الدورية لأنها مأمورة ومسخرة لارادة عليا . اذن فهي لاتصلح مع تغيرها هذا أن تكون آلهة .

فقال تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم وجداله مع قومه " وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لاأحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين " (٢) .

" كذلك رد القرآن على فكرة عبادة الملائكة وأنهم بنات الله وذلك عن طريق سؤال عقلي :

هل شهدتم خلق الملائكة وأنهم بنات الله ؟

قال تعالى " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم " (٣)

وفي مجال مناقشته للأفكار الالحادية التي يعتنقها العرب :

كان القرآن الكريم دقيقا في عرض هذه الافكار كما يؤمن بها أصحابها كما كان قويا في جدالها بالحجة والمنطق . فنراه يناقش منكرى البعث بعرض فكرتهم قائلا " وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (٤) "

---

(١) سورة آل عمران آية "٥٠"
(٢) سورة الأنعام آية "٧٩"   (٣) سورة الزخرف / ١٩
(٤) سورة الجاثية آية "٢٤"

ثم يعقب عليهم بأنهم لا يستندون فى فكرتهم هذه على أساس علمى بل انهم مستندون على الوهم وسوء الظن .. قال تعالى :

" ومالهم بذلك من علم . ان هم الا يظنون " (١)

ثم يمضى فى آيات كثيرة ليثبت بالدلائل العقلية انه سبحانه هو الذى خلق فيقول " أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون " (٢)

وقال تعالى " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب " (٣)

كما يثبت بالعقل أنه تعالى قادر على البعث واعادة ما خلق اذ البداهة تحكم بأن البدء أصعب من الاعادة وانشاء الشىء ابتداء أعثر من اعادة أجزاؤه .

كما أثبت أنه بالنسبة لله تعالى لا صعب ولا سهل فقال تعالى :

" وهو الذى يبدىء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى " (٤)

مناقشته للقائلين بتعدد الآلهة :

فقد كان بعض المشركين يشركون مع الله أربابا من دونه من الأصنام والمعبودات الأخرى مع أنهم كانوا يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الكون وهو الذى يحيى ويميت ويعطى ويمنع ويدبر الأمر كله بين السماء والأرض ولكنهم لا يفردونه بالعبادة بل يتخذون له الشفعاء ويعبدون معه الأصنام لكى تقربهم الى الله زلفى .

فرد القرآن الكريم عليهم فى أكثر من آية مبينا أنه تعالى وحده المتصرف فى الكون ولا شريك له وأن الشفاعة لله جميعا وليس لهذه الأصنام والمعبودات شفاعة . فقال تعالى :

" قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض " (٥)

وأن هذه المعبودات لا تستطيع أن تخلق ولا أن تدبر شيئا فلا تستطيع أن تضر أحد أو تنفعه بل لا تستطيع أن تدافع عن نفسها .

---

(١) سورة الجاثية آية "٢٤" (٢) سورة الطور / ٣٥
(٤) سورة الروم آية "٢٧" (٣) سورة الحج / ٧٣
(٥) سورة الزمر آية "٤٤"

كما أثبت القرآن الكريم بالدليل العقلي المنطقي أن التعدد في الآلهة يلزم عليه فساد الكون واضطراب أمره نتيجة لتعدد الارادات المزعومة وأوضح أن هذا النظام البديع الذي يسير عليه الكون لهو أقوى الدلائل على وحدانية الله تعالى فقال تعالى :

" لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون " (١)

وقال تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض " (٢)

وأحيانا كان يقص قصص الأنبياء السابقين ومواقفهم من الأصنام وعابديها فأورد قصة سيدنا ابراهيم وتحطيمه الأصنام ثم حواره مع قومه حين قال لهم :

" قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون " (٣)

ليعترفوا في النهاية أنها لاتنفع ولاتضر .

وبصدد اثبات الرسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقش القرآن فكرة بشرية الرسول بعد ان اتخذ بعض العرب من بشريته وسيلة لانكار رسالته وقالوا ان الرسول لا يمكن أن يكون بشرا " وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا " (٤) فرد القرآن :

ان بعث الرسول من البشر له حكمة لا تتحقق ببعثه ملكا ليسهل الاقتداء به واتخاذه مثلا وحتى لاتكون هناك حجة لتعطيل أمره بكونهم بشرا يخطئون وأنهم غير مؤهلين لأن يكونوا ملائكة

(١) الانبياء / ٢٢
(٢) سورة المؤمنون آية "٩١"
(٣) سورة الأنبياء آية "٦٣"
(٤) الاسراء / ٩٤

" قل انما أنا بشر مثلكم ".(١)

وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشـــون فــي الاسْواق". (٢)

" قل ما كنت بدعا من الرسل وماأدرى ما يفعل بــي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى ".(٣)

ثم ذكر القرآن أن المرسل اليهم بشـــر فالحكمه تقضـــــــى بأن الرسول لا بد أن يكون بشرا من نفس طبيعتهم ولو كانوا ملائكـــــه لكان لهم أن ينتظروا ملكا " قل لو كان فــي الارض ملائكه يمشـــون مطمئـنين لنزلنا عليهم من السمـاء ملكا رسولا ".(٤)

---

(١) الكهف / ١١٠
(٢) الفرقان / ٢٠
(٣) الاحقاف / ٩
(٤) الاسراء / ٩٥

على أنهم لا قدرة لهم على التعامل مع ملك يرسل اليهم ولو قد حدث ولم يؤمنوا لكان ذلك داعيه لاهلاكهم من غير امهال ولو كان ملكا فى صوره رجل لقالوا نفس الشبهة انه رجل .

قال تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) (١)

ولقد وقف القرآن كثيرا امام التهم الزائفه التى حاول الوثنيون الصاقها برسول الله صلى الله عليه وسلم توصلا منهم الى انكار الرساله .

فبدد شبهتهم فى أن الرساله لا تكون الا لعظيم
("وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم") (٢)

مبينا أن الدنيا كلها متاع تافه لا شأن لها ولا خطر فليست آيه علاقه باختيار الغنى أو الفقير رسولا " أهم يقسمون رحمه ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمه ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمه واحده لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضه ومعارج عليها يظهرون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياه الدنيا والآخرة عند ربك

---

(١) الانعام ٧، ٩
(٢) الزخرف ٣١ـ ٣٥

للمتقين "(١) كما يعدد اتهاماتهم بأنه ساحر أو مسحور أو كاهن أو شاعر أو مجنون أو يتقول القرآن من عنده . قال تعالى " فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين "(٢)

كما قال سبحانه :" فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين "(٣)

ثم يرد فكرة أنه يتلقى القرآن من غلام أعجمى يختلف اليه ويعلمه أساطير الاولين فرد القرآن فى منطق سهل ان هذا الغلام الذى يزعمون أنه يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم غلام أعجمى لكن هذا القرآن عربى فكيف يتأتى ذلك .

قال تعالى " ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين " (٤)

كذلك أبطل فكرتهم فى أنزال القرآن جملة واحدة ، وبين أن انزاله منجما أثبت لفؤاد الرسول وأوقع وأنفع للحياة العملية وأكثر قبولا لدى المؤمنين " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا "(٥)

(١ ، ٢) سورة الطور الآيات ٢٩ـ ٣٤
(٣) سورة الحاقة الآيات ٣٧ـ ٤٧
(٤) سورة النحل الاية ١٠٣
(٥) سورة الاسراء اية ١٠٦

" وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا "(١)

وهكذا أثبت الله سبحانه وتعالى رسالة الرسول - صلى الله عليه وسلم عن طريق اثبات القرآن وأنه من عند الله معجزة لرسوله وتبيانا لكل شئ ولقد أثبت الله ان القرآن من عنده بأكثر من طريق :

فبين أنه لو كان من عند غير الله لما سلم من التناقض والاختلاف سواء فى جوهر الدعوة أو وسائلها ولكن القرآن خال تماما من هذا التناقض وكله على مرتبة واحدة فى بلاغة النظم قال تعالى " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "(٢)

وتلك لغته فى غاية الحكمة لأن ما كان من البشر فهو عرضة للتناقض لأن الانسان نفسه عرضة للتغير أما ما كان من الله فهو ثابت لا يتغير ولا يتناقض " ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت " .

كذلك أشار سبحانه الى ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة اذ كان أميا لم يمسك قلما ولم يقرأ فى كتاب فكونه يتكلم بالقرآن بعد ذلك فهو دليل واضح على أن القرآن الذى يتلوه ليس من عنده وانما هو من عند الله . قال تعالى : " وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون "(٣)

---

(١) سورة الفرقان ايه ٣٢

كما بين اللـه سبحانه فى معرض الدلاله علـى أن القـرآن من عند اللـه بعض الغيوب فى المستقبل من التى لايستطيع التنبـؤ بها أحد وقد حدثت كما أخبر القرآن وذلك مثل قوله تعالـى " ألم • غلبت الـروم فـى أدنى الارض وهم من بعـد غلبهـم سيغلبون فـى بضع سنيـن) (١)

بل كانت غايه المقام فى هذا الموضوع تحديات القرآن المتكـرره لمخالفـين المنكرين بأنه من عند اللـه أن يأتوا بمثلـه أو أن يأتوا بسورة منه أو بأقـصر سوره أو حتى بعشر آيات فعجـزوا •

هذا وما زال التحـدى قائما حتى يرث اللـه الأرض ومـن عليهـا فعلـى من ينكـر أن القرآن من عند اللـه وأنه معجـزة للدلاله علـى صدق الرسالـه الاسلاميه أن يأتى بمثل أقـصر آيـه منـه ولكن هيهـات لأحـد أن ينجـح فـى تحديه كما أخبـر القـرآن ذاته قـال تعالى : (وان كنتم فـى ريب مما نزلنا علـى عبدنا فأتوا بسوره من مثله وادعوا شهداءكـم من دون اللـه ان كنتـم صادقين فان لم تفعلوا و ـ ولن تفعلوا ـ فاتقوا النار التى وقودهـا النـاس والحجـارة أعدت للكافريـن "(٢)

وقال سبحانه " قل لئن اجتمعت الانس والجـن علـى ان يأتوا بمثـل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كـان بعضهم لبعض ظهـيرا " (٣)

---

(١)
(٢) البقرة ٢٣، ٢٤
(٣) الاسـراء / ٥٨

وهكـــذا رد القرآن علـــى كل الطوائـــف المخالفه مـــن
العـــرب من كان منهم ينكر الخالـــق والبعـــث
أو من كـــان ينكـــر البعث فقـــط
أو من كان ينكـــــــر الرســـاله
متعقبا أفكارهم لا يلقون بشبها الا رد عليها بما يبددها كما قـــال
اللـــه سبحانه
" ولا يأتونـــك بمـــثل الاجئنـــاك بالحـق وأحســـن
تفســـيرا " (١)

هذا عن موقف القرآن الكريم من أصحاب الأديان الأخرى وقد رأينا كيـــف كانت ردوده وأسئلته مفحمة لهم ولكنه في الوقت ذاته طالب المسلمين بعـــدم المواجهة مع هوءلاء الطوائف بل دعاهم الى الأخذ بالرفق في هذا الجدال عنـد الحاجة الى الجدال قال تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظـــة الحسـنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن ســـبيلـه وهو أعلم بالمهتدين " (٢) . وقوله تعالـى :
" ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولـــوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون " (٣)

---

(١) الفرقـان / ٣٣
(٢) سورة القلـم آيـة "٧"
(٣) سورة العنكبوت آيـة "٤٦"

وقوله تعالى : " فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ..... فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد " (١)

وقوله تعالى : " قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (٢) (٣)

حال العقيدة فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم :

واذا كان القرآن الكريم قد أوضح عقائد الأمم السابقة والموجودة وقت نزوله وبين ضعفها وما تشتمل عليه من الوهن وفندها وأقام الحجج على زيفها فيعن لنا سؤال هو لماذا لم تنشأ الأبحاث العقلية حول هذه النصوص وبالتالى لم ينشأ علم الكلام فى هذا العصر المبكر ؟

نقول : (أن هذا العصر تميز بعلامتين بارزتين :

أولهما : كان المسلمون من قوة الايمان بما انطلقوا معه الى العمل أكثر من من الجدل حول المسائل الدينية فجاءت جهودهم مركزة فى معرفة وسائل تطبيق الأحكام العملية التى ترجع الى العبادات والمعاملات .

ثانيهما : كان مصدر التوجيه للجماعة المؤمنة القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وتقريراته . فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى القرآن الكريم ويفيض به على المؤمنين ويوجههم الى العمل به ـ فاذا حدث أن سأل أحد الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم سؤالا يكون من شأنه اثارة النزاع حول العقيدة الاسلامية أو احداث ضرر ما فى عقول الناس وقلوبهم ـ كان الرسول يجيبه بالوحى الذى يمنعهم من مثل هذا السؤال أو يوجههم الى سؤال غيره أكثر جدوى وفائدة بل كان الرسول معهم والوحى حتى فى أخص أمورهم لدرجة أن الوحى نزل للنهى عن التشقيق فى السؤال فقال تعالى :

---

(١) سورة آل عمران آية "٢٠"　　(٢) سورة البقرة آية "١٣٦"

(٣) الفلسفة الاسلامية فى المشرق والمغرب . د . عبد المعطى محمد بيومى جـ ١ صـ ٦١ : ٧١

"يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم "(١)

والمثال العملى على ذلك أنه حدث حين فرض الحج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلن فى الناس :

" أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج . فقال رجل : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض الرسول عنه حتى أعاده مرتين أو ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قلت نعم لوجبت عليكم ولو وجبت عليكم ما أطقتموه — ولو تركتموه لكفرتم . فأنزل تعالى الآية السابقة . "

كذلك كان حال المسلمين كما عبر عنه عمر رضى الله تعالى عنه عندما نزلت تلك الآية الكريمة " يا رسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما " وهكذا مضى المسلمون مع رسول الله كما أمرهم الله ".(٣)

كما قال تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا(٢) "

نخلص من ذلك كله الى أن المسلمين فيما بينهم فى صدر الاسلام وزمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا على ايمان قوى أدى الى العمل المخلص والبعد عن المجادلات التى تؤدى بهم الى الشقاق والتحزب والخلاف الدينى وأنهم كانوا يتلقون التوجيه من القرآن الكريم ومن الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمور دينهم وكثير من أمور دنياهم وهو نفس الحال بالنسبة للصحابة . ولهذا مضى عهده صلى الله عليه وسلم والمسلمون على عقيدة واحدة هى ماجاء فى كتاب الله وكما يقول المقريزى فى خططه : ومن أمعن النظر فى دواوين الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية — علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنهم سألوا

---

(١) سورة المائدة آية "١٠١"
(٢) سورة الحشر آية "٧"
(٣) المرجع السابق ص ٥٩ ، ٦٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شىء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام فى الصفات . نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وانما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة . وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه وتعالى على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة لمخلوقين فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شىء من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة "(1)

واذا كان هذا النص يحكى موقف الصحابة فى عهده عليه الصلاة والسلام من أمور العقيدة ومسائلها فانه يحكى أيضا موقف الصحابة بعد أن دخلوا الاسلام وخالط الايمان بشاشة قلوبهم .

على أن بعض بذور علم الكلام قد تم غرسها فى هذا العصر يقول السيوطى فى كتابه صون المنطق " وأخرج من طريق عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابة ذات يوم وهم يتراجعون فى القدر فخرج مغضبا حتى وقف عليهم فقال : يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضهم ببعض وان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضا ما عرفتم منه فاعملوا [illegible] فآمنوا به .

وأخرج عن أبى هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن

---

(١) الخطط للمقريزى ج ٤ / ١٨٠

(٢) صون المنطق [illegible] الامام جلال الدين السيوطى .

نتنازع فى القدر فغضب حتى احمر وجهه ثم قال : أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت اليكم؟ انما هلك من كان قبلكم حتى تنازعوا فى هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا" (١)

اذن نستطيع أن نقول أن هذا العلم قد نبتت جذوره الأولى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بينهم فينهاهم عن الخوض فى مثل هذه المسائل وكان كلما رأى اتجاههم الى اثارة الشبه حول العقيدة نهاهم عن ذلك وبين لهم أن الهلاك انما هو فى متابعة هذا السبيل الذى يضلهم عن الحق ويوضح ذلك ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله " ليسألنكم الناس عن كل شىء حتى يقولوا إن الله خلق كل شىء فمن خلقه " . (٢)

وعلى الرغم من وجود البذور الأولى لهذا العلم فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الا أنه لم يحدث الخلاف الشديد حول مسائل العقيدة وهذا لم يكن نتيجة تسليم الصحابة بما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم لمجرد أن القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المكلم من السماء فلا يضل ولا يزل ولكنهم أجالوا فيه بصائرهم فوجدوه الحق الذى قامت عليه الأرض والسماء .
فانتهى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وكلمة المسلمين واحدة فلم يؤثر أن اختلف المسلمون فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فى قضية من قضايا العقيدة التى نزلت .

حال العقيدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم :

اذا تحدثنا عن العقيدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف نتحدث عنها أولا فى عهد الخلفاء الراشدين ثم فى عهد بنى أمية .

١-
٢-

أولا : العقيدة في عهد الخلفاء الراشدين :

لقد ظل الحال على ماكان عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث نهج الصحابه منهج الرسول صلى الله عليه وسلم واتبعوا طريقة في الاهتمام بالأمور والأحكام العملية والبعد عن الخوض في القضايا العقيدية وقد سبق أن ذكرنا رأى المقريزى في خططه عن موقف الصحابه من الأمور الغريبه وقضايا العقيدة حيث لم يخوضوا في الحديث عن ذات الله أو عن صفاته بل آمنوا بما أثبته الله لنفسه من صفات دون جدال . الا أنه قد حدثت بعض الاختلافات بين الصحابه حول بعض المسائل العملية الاجتهادية والذى يرى البعض أنه كان لها تأثير على مسائل العقيدة نذكر بعض منها على سبيل المثال :

١ ـ الخلاف حول الصحيفه التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حاول أن يكتبها أثناء مرضه الأخير . فقد حدث كما يروى الامام البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات به قال : ائتونى بدواه وقرطاس أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعدى " فقال عمر رضى الله عنه : " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قوموا عنى لاينبغى عندى التنازع .

قال ابن عباس : الرزيه كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

٢ـ الخلاف حول موته صلى الله عليه وسلم حيث ظن البعض أنه لم يمت ولكن أبا بكر حسم الخلاف بينهم بقوله" من كان يعبد محمد فان محمد قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت. "

٣ـ الخلاف حول دفنه صلى الله عليه وسلم قد حسم الموقف أبى بكر الصديق أيضا بعد أن ذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم الانبياء يدفنون حيث يقبضون " فدفنوه عليه الصلاة والسلام فى حجرته .

٤ـ الخلاف حول قتال مانعى الزكاة.

٥ـ الاختلاف فى تسيير جيش أسامه بن زيد .

حيث عارض عمر تحرك الجيش ولكن أبى بكر أصر على تسييره.

٦ـ الخلاف بين المهاجرين والانصار حول الخلافه فقد تعددت الآراء فى ذلك ولكن انتهى أخيرا بتولى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه.

ويقول الدكتور عبد المعطى بيومى:

"بالرغم من حدوث هذه الاختلافات الا أنها لم تخلف وراءها شيئا من الرواسب بل انتهت بنهايتها حتى كانت مسألة الامامه فدار حولها الخلاف الذى امتد أثره بعد ذلك الى آماد بعيده وطبع تاريخ الفكر والسياسه فى الاسلام بطابعه حتى الآن "(١)

---

١) بتصرف. الفلسفه الاسلاميه فى المشرق والمغرب جـ١ ط الأولى ص ٧٦

ثانيا : عهـد بني أميـة :

اذا كانت البذور الأولى لعلم الكلام قد غرست فى تربة الحيـاة الاسلامية منذ بدايتها فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم من محاولة الجدل من بعض المسلمين ثم ما تلاه فى عصر الخلفاء الراشدين من الخلافات التى حدثت ... فاننا سنرى فى هذا العصر أن هـذه البذور قد نبتت ونمت وفرعت نتيجة عدة عوامل أهمها :

الخلاف الذى وقع بين المسلمين فى عهد سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكان حادث التحكيم الذى أدى الى وجود ثلاث فرق :

١ـ الخوارج وهم الذين خرجوا على الامام على ووقفوا ضده .

٢ـ الشيعة وهم الذين تشيعوا للامام على وأيدوه ورأوا أن الخلافة حق له ولأهله دون الناس .

٣ـ المرجئة وهم الذين أرجئوا الحكم الى الله وآثروا العزلة ولم يكفروا أحـد .

ولقد نشأت هذه الفرق فى مبدأ أمرها بصورة سياسية خالصة ولكن حدثت عدة عوامل ساعدت على تحول هذه الفرق السياسية الى فرق دينية لها آراؤها وأتباعها .

فيتولى معاويه بن أبى سفيان أمور البلاد بعد خديعه التحكيم (١) التى حدثت حاول أن يوضح للناس أن توليه للخلافه كان بأمر الله وبقضائه وأن لا دخل له فى ذلك ومن هنا ساعد فكره القول بالجبر وأنه لا دخل للانسان فيما يفعل .

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٢٧٥، ٢٧٧ مطبعة السعادة بمصر .

يقول الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود :

" حينما استقر الأمر لمعاويه بعد الاتفاق الذى حصل بينه وبين الحسن ابن على — رضى الله عنهما — أراد معاوية أن يثبت فى أذهان الناس أن امرته على المسلمين انما كانت بقضاء الله وقدره فأشاع الفكره وشجع مذهب الجبر وأخذ هو وخلفاؤه من بنى أميه يبثون الفكره بمختلف الوسائل . ومما يوضح ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه:

"عن وراد مولى المغيره بن شعبه قال : كتب معاوية الى المغيره : اكتب الى ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول خلف الصلاه فأملى على المغيره. قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول خلف الصلاة : لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

وقال ابن صريح : أخبرنى عبده أن ورادا أخبره بهذا ثم وفدت بعد الى معاويه فسمعته يأمر الناس بذلك القول" (١)

ونشأه فرقه الجبريه وانتشارا آرائهم التى كانت سبب فى غلو الناس فى تعطيل قدره العبد واختياره نهائيا وشوهت قضيه العدل الالهى فلا حساب للعبد اذن ما دام مجبر فى أفعاله.

---

(١) التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ١٨٧ .

وفى المقابل لهذه الفرقه قام جماعه من الحريصين على العقيدة والمدافعين عن العدل الالهى فأثبتوا الاختيار وغلوا فى آرائهم بزعمهم أن العبد مختار يفعل ما يشاء وحر فيما يأتى وما يدع وأنه لا قدر ولذلك سموا بالقدريه.

وهكذا كان عهد بنى أميه منتجا للجبريه والقدريه بآرائهم المتناقضه فى العقيدة.

وهذا ما يؤكد أنه كان عهد اضطراب فكرى فى مجال العقيدة وقد ساعد على ذلك ظهور حركه الترجمه للعلوم اليونانية التى كانت بدايتها ترجمه للعلوم الطبيعيه ثم ازدادت اتساعا حتى شملت العلوم الفلسفيه والميتافيزيقيه مما أدى الى اللجوء الى تدعيم آرائهم بالحجج المنطقيه الفلسفيه فلجأ المعتزله الى الاستدلال العقلى على آرائهم وقام فى المواجهه الاشاعره بالدفاع عن آرائهم أيضا بالاعتماد على أدله العقل ووسائله.

نشـــأة علم الكلام :

لقد رأينا كيف انقسم المسلمون الى فرق مختلفة الاتجاهات والآراء وقـــد ساعد اشتداد المعارك الكلامية والجدل بينهم على تغذية هذا العلم الذى نحن بصدده وهذا يجرنا الى توضيح الأســـباب الأصلية لنشأةهذا العلم وهى :

١ـ لقد تعرض القرآن الكريم ـ كما رأينا سابقـا ـ بجانب دعوته الـــى التوحيد لأهم المذاهب والديانات التى كانت منتشرة فى عهد الرسـول صلى الله عليه وسلم حيث رد عليهم ونقض آرائهم ومعتقداتهم فقـــام أصحاب هذه المذاهب بمحاولة الطعن فكان طبيعيا أن يقوم علمـــاء المسلمين بالدفاع عن دينهم وكلما جدد المخالفون وجوه الطعن جـدد المســـلمون طرق الرد .

٢ـ الفتوحات الاسلامية واتساع الدولة الاسلامية حتى شملت بقاع كثيـــرة ودخل فى الاسلام كثير من العناصر المختلفة من أهل الأديان والمذاهب الموجودة والذين يدينون بعقائد وأفكار متباينة فأخذوا يبحثون عـــن موقف الدين الجديد من هذه المعتقدات والأفكار التى يدينون بهـــا مثل ســـلمان الفارسى وغيـره .

٣ـ تحول الفرق الســـياسية التى نشأت الى فرق دينية كما رأينا من قبـــل وظهور فرقة المعتزلة ثم قيام الأشاعرة بمواجهتها والرد عليها ومحاولتهـا الدفاع عن منهج السنة فكانت المبادىء الأساسية الأولى لعلم الكلام .

٤ـ حركة الترجمة التى كانت فى العصر العباسى وفى عهد المأمون خاصـــة كانت عامل مساعد على تغذية علم الكلام حيث ترجمت الفلسفة اليونانيـــة وتخصص فيها من عرفوا بالفلاسفة الاسلاميين كالكندى والفارابـــــى وابن سينا من فلاسفة المشرق وابن باجه وابن طفيل وابن رشـــــد

من فلاسفة المغرب ، فقد قام هؤلاء بمحاولة التوفيق بين الدين والفلسفة ولقد وقف لهؤلاء الفلاسفة الكثير من المتكلمين بالرد عليهم والدفاع عن الدين وعلى رأس هؤلاء المدافعين كان الامام الغزالى .

هذه بعض الأسباب التى ساعدت على نشأة علم الكلام ونموه حتى صار علما له قواعده وأصوله .

علاقة علم الكلام بالفلسفة :

يقول د . عبد المعطى بيومى :

درج واضعوا العلوم الاسلامية والباحثون فيها على تحديد صلة هذه العلوم بعضها ببعض لكى تتميز موضوعاتها تميزا جليا يمنع اختلاط موضوعات علم بموضوعات علم آخر .

وهذا من أدق الأمور فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية حتى لا يظن ظان انهما علم واحد .. اذن يجب التفريق بينهما ومعرفة ما يتميز به كل علم عن الآخر .

الفرق بين علم الكلام والفلسفة :

ويقول ايضا :

هناك بعض من المفكرين الذين يرون أن علم الكلام هو المظهر الحقيقى للفلسفة الاسلامية حيث يرى الدكتور على سامى النشار – فى كتابه نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام – أن نطاق علم الكلام شمل المذاهب الفلسفية الكبرى وعمل المسلمين الباهر فى تفسير الكون واكتشاف القوانين الوجودية . ذلك فى الوقت الذى يرى فيه أن الفلاسفة المسلمين لم يستطيعوا الاتيان بشىء جديد عن الفلسفة اليونانية بل كانوا مجرد نقلة وتابعين ويؤيد الدكتور النشار بعض المستشرقين الذين ينفون أى ابتكار أو ابداع للفلاسفة المسلمين ، اذن فهو يعتبر

أن علم الكلام هو الفلسفة الاسلامية الحقيقية وأن الفلسفة الاسلامية عند الفارابى وابن سينا ما هى الا نقل لفلسفةاليونان ... لكن نرد فنقول أن الذى لانستطيع أن نسلم به أن يكون علم الكلام فلسفة أو يمثل الفلسفة الاسلامية الحقة وذلك لأن هذا العلم رغم منهجه العقلى ليس تفكيرا عقليا حرا كالفلسفة بل هو تفكير عقلى مرتبط بموضوع معين هو : العقائد الايمانية ومرتبط بهدف معين هو : الدفاع عن هذه العقائد بالأدلة العقلية ، أما الفلسفة فهى : بحث عقلى حر غير مرتبط بموضوع معين بل موضوعه جميع الموجودات وغير مرتبط بهدف غير الوصول الى الحقيقة فى حد ذاتها . وحتى فى الفلسفة الالهية فان نظر الفيلسوف غير نظر المتكلم .

وهذا ما يؤكده العلامة ابن خلدون فى المقدمة حيث يقول " واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون فى أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها مع وجود البارى وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعى ينظر فيه الفيلسوف فى الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الا أن نظره فيها مخالف لنظر المتكلم فهو ينظر فى الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف فى الالهيات، انما هو نظر فى الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم فى الوجود من حيث أنه يدل على الموجد .

وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله انما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد . "

فعلم الكلام اذن [illegible] من نواحى التفكير العقلى وهى الدفاع عن عقائد يسلم بها المتكلم أولا

أما الفلسفةالاسلامية فهى ابداع فى نواح أخرى كثيرةفى أعماق النفس والوجود يصل فيها الفيلسوف الى الحقائق ثم يسلم بها بعد الوصول اليها .

أو كما قيل : المتكلم يعتقد ثم يستدل أما الفيلسوف فانه يستدل ثم يعتقد فاذا قيل : أن الاعتقاد لا يتم بالتقليد فالمتكلم يبحث عن الدليل فهو يبدأ بالشك ثم ينتهى بالدليل العقلى .
فنقول : أن المتكلم حتى فى هذه الحالة لديه حقيقة ما جاء بها الوحى أما الفيلسوف فيكون خالى الذهن وهو يبحث عن الحقيقة وفرق بين رجل لديه حقيقة أو شبهها وآخر ليس لديه منها شئ فهو باحث حر .

واذ قد اتضح لنا : أن علم الكلام ليس فلسفة وليس هو المظهر الحقيقى للفلسفة الاسلامية فهناك فروق أخرى بين علم الكلام والفلسفة الاسلامية وأهمها :

أن لعلم الكلام مصدر أساسى هو العقيدة الاسلامية وما كانت الفلسفة فى هذا العلم الا وسيلة لاثبات العقيدة والمقصد الأساس هو اثباتها وكانت الفلسفة بجانب ذلك ثانوية أو مجرد وسيلة .

أما الفلسفة : فقد كان لها مصدران أساسيان هما : الفلسفة اليونانية والعقيدة الاسلامية وكان على الفلاسفة أن يرجعوا بالنتائج التى يحصلونها وفق مبادئ وقواعد الفلسفة اليونانية لعرضها على مبادئ العقيدة الاسلامية فان توافقت معها فبها والا وفقوا بينهما .

أن علم الكلام فى نشأته كان وليد ظروف اسلامية محضة . فمشكلة الامامة ومشكلة مرتكب الكبيرة وغيرهما من المشكلات الكلامية انما نتجت من ظروف اسلامية دفعت اليها من البحث عمن يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته الى الحرب بين على ومعاوية الى غير ذلك من الظروف الاسلامية حينذاك .

واذا كان هناك دور لظروف خارجية فهو دور محدود تدخل فيما بعد نشأة هذا العلم أما نشأته نفسها فكانت نشأة اسلامية وكانت عناصره الأولى اسلامية بلا شك .

أما الفلسفة : فقد أوجدتها ظروف اسلامية وغير اسلامية ولا يمكن ارجاع نشأتها الأولى الى عناصر اسلامية محضة اذ أن حركة الترجمة بما أوجدته من ثقافات أجنبية كان لها دور كبير فى تكوين العناصر الأساسية الأولى للفلسفة .

من كل هذا يتضح أن علم الكلام شىء وعلم الفلسفة الاسلامية شىء آخر يشتركان معا فى التفكير العقلى وفى اصطناع بعض الافكار الفلسفية الا أنه لا يمكن اعتبار علم الكلام فلسفة أو فلسفة اسلامية لأن الفلسفة :

- بحث عقلى حر فى جميع الموجودات وليس كذلك علم الكلام لأنه ليس بحثا وانما هو استدلال على العقائد .
- والفلسفة لها مصدران أساسيان هما الفلسفة اليونانية والعقيدة الاسلامية أما الكلام فمصدره اسلامى بحت .
- أن الفلسفة ولدتها ظروف اسلامية وغير اسلامية أما الكلام فقد ولدته ظروف اسلامية خالصة".(١)

* ولى تعقيب على هذا الكلام فأقول أن الدكتور بيومى فرق بين الفلسفة وعلم الكلام من حيث أن علم الكلام ليس بحثا كالفلسفة ولكنه استدلال على العقائد .... الا أنى أرى أن ما سمى بعلم الكلام . انما كان تخبط من هؤلاء الذين تصدروا للقيام بهذا العمل فعلم الكلام ليس علما وانما هو اغراق فى الاوهام والخيالات.

---

(١) الفلسفة الاسلامية فى المشرق والمغرب جـ ١ ط الأولى ص ٤٦: ٥٠

والقول بأنه استدلال على العقائد قول مرفوض لأن العقيدة لاتحتاج الى الاستدلال العقلى فالعقيدة في عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم - لم تلجأ الى الاستدلال العقلى وانما كان اعتمادها كله على الوحى الالهى . واذا قيل في التفرقة بين الفلسفة وعلم الكلام أن علم الكلام كانت ظروفه اسلامية محضه . بخلاف الفلسفة التى كانت لها ظروف اسلامية وغير اسلامية فهذا أيضا قول لا نسلم به لأن من اعتمد على العقل في الدفاع عن العقيده فقد استعار طريقه اليونان فى الاستدلال العقلى . فالعقيدة لاتلجأ الى العقل للاستدلال على صحتها الا اذا افتقرت الى الوحى الالهى لكن العقيدة الاسلاميه والحمد لله توفر لها هذا الوحى المعصوم ولذلك وجدنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوجه المسلمين الى اتباع الوحى والابتعاد عن متاهات العقل فقد قال صلى الله عليه وسلم " اتبعوا ولا تبتدعوا فانما هلك من قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وقالوا بآرائهم وخالفوا سنن أنبيائهم فضلوا وأضلوا "(١)

وقال صلى الله عليه وسلم " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم "(٢)

ولذلك نجد أن الصحابه رضوان الله عليهم قد اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فصدقوا بالوحى وآمنوا به دون اللجوء الى محاوله تفسير العقيدة بالعقل

١-

٢-

وذلك لعلمهم أن العقل قاصر عن ادراك هذه الأشياء والاستقلال بمعرفتها والبرهنه عليها بأدلته٠

ولذلك فقد كان التفرق والتحزب والاختلاف بين المسلمين يوم أن فكروا أن يخضعوا العقيدة لاستدلالات العقل على يد المعتزله فقضايا العقيدة لا تحتاج لاستدلالات العقل الناقصه الضعيفه فمثلا قضيه وجود الله:

هذه القضيه فطريه بديهيه لاتحتاج الاستدلال عليها بالعقل ويكفي فيها الآيات القرآنية الكثيره المليئه بالحجج والبراهين الواضحه٠

وقد وجه الدين العقل الى النظر والتفكير للوصول الى وجود الحق اذن فالدين جاء يهدى العقل الى الحقيقه فى العقيدة فكيف ينتظر الدين من العقل أن ينصفه ويقيم الأدله والبراهين لاثباته٠

هذا قلب للحقائق ٠ فالدين هو الهادى والقائد للعقل ولاعكس٠

الفائدة من دراسته : يقول صاحب المواقف:

١ ـ بالنظر الى أصول الدين : فانه يحفظ العقائد من أن تزلزلها شبه المبطلين ٠

٢ـ بالنظر الى فروع الدين : أنه يبنى عليه العلوم الشرعية اذ أنه أساسها اذ أنه لو لم يثبت وجود اله صانع عليم قادر مرسل للرسل منزل للكتب مكلف للبشر لم يتصور علم تفسير أو فقه أو غيره من العلوم المتوقفة على علم العقيدة ٠

٣ـ بالنظر الى الشخص الدارس لهذا العلم : فان دراسة هذا العلـــم يســاعده على الترقي من حضيض التقليد الى ذروة الايقان ٠ كما أنـــه يربي فيه صحة النية بالاخلاص في العمل وصحة الاعتقاد بمراقبته للـــه تعالى في الســـر والعلن ٠

٤ـ بالنظر الى الغير : يساعد على ارشاد المسترشدين بايضاح الحجـــة لهم والزام المعاندين باقامة الحجة عليهم ٠

٥ـ أما الفائـدة الجامعة فهي الفوز بســعادة الدارين الدنيا والآخرة ٠

بعد استعراض رأي الايجي في الفائدة من دراسة علم الكـــلام فاني أعقـــب ايضا على ذلك بأن العقيدة اذا اعتمدت علـى القـــرآن الكريم وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لكانت الثمـــرة والفائدة أفضل بكثير من اعتمادها علـى العلم القائـــم على العقل الانسانـــي فـــي براهينــه واستدلالاته ٠

---

(١) المواقف في علم الكلام ٠ القاضي عبد الرحمن بن أحمد الايجـــــي ٠ علم الكتب ببروت ص ٨ ٠ بتصـــــرف ٠

الفصل الثاني

الدين وضرورته للبشرية

١ـ تعريف الدين لغة ٠

٢ـ تعريف الدين فى الاصطلاح ٠

٣ـ فطرية التدين ٠

٤ـ ضرورة الدين للبشرية ٠

٥ـ أصل العقيدة الدينية منذ بدء الخليقة ٠

٦ـ ان الدين عند الله الاسلام ٠

٧ـ ما يتضمنه الاسلام ٠

١- تعريف الدين لغة :

كلمة دين كلمة مستمدة من اللغة العربية فهي عربية أصيلة وليست معربة أو مشتقة من اللغات الأخرى[١] . وهي كلمة واسعة المعاني والمدلولات فأحيانا تطلق بمعنى الجزاء والحساب لقوله تعالى : " مالك يوم الدين "[٢] أي يوم الحساب على الأعمال الدنيوية بالثواب والعقاب ... وأحيانا أخرى تطلق بمعنى الاعتقاد والمذهب أو الطريق الذي يتخذه الانسان ويرتضيه لنفسه ويلتزم به مثل قوله تعالى : " لكم دينكم ولي دين "[٣] . وأحيانا تطلق بمعنى الخضوع والذل مثل قولك : " دان فلان لي " أي خضع وذل لي . وأحيانا تطلق بمعنى الحكم والقهر مثل قولك " دان الناس " أي قهرهم وأجبرهم على الطاعة .

اذن فكلمة دين اذا أخذت من فعل متعدى بالباء "دان به" كان معناها الجزاء والحساب والاعتقاد والملة والمذهب باعتبار الانقياد واذا كانت مأخوذة من فعل متعدى باللام "دان له" كان معناها الخضوع والطاعة واذا كانت مأخوذة من فعل متعدى بنفسه "دان دينا" كان معناها الحكم والقهر والسلطان .[٤]

" وجمله القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمه الدين عند العرب تشير الى علاقه بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له . فاذا وصف بها الطرف الاول كانت خضوعا وانقيادا واذا وصف بها الطرف الثاني كانت امرا وسلطانا وحكما والزاما واذا نظر بها الى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها .

---

(١) الدين د . محمد عبد الله دراز ص ٢٧
(٢) سورة الفاتحة (٣) سورة الكافرون آية ٦
(٤) الدين . د . محمد عبد الله دراز ص ٢٥، ٢٦
(٥) المرجع السابق ص ٢٧

٢ ـ تعريف الدين فى الاصطلاح :

" اختلف العلماء والباحثون فى تعريف الدين فى الاصطلاح الى فرق مختلفه كثيره ويذكر الدكتور دراز بعض منها فيقول :
أما الاسلاميون فقد اشتهر عندهم تعريف الدين بأنه " وضع الهى سائق لذوى العقول السليمه باختيارهم الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المال ".

ويمكن تلخيصه بأن نقول : الدين " وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات"

ثم يذكر بعض تعريفات للفلاسفه الغربيون منها :
تعريف كانت فى كتابه " الدين فى حدود العقل " :
" الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمه على أوامر الهيه ".

ويقول الأب شاتل فى كتاب " قانون الانسانية " :
" الدين هو مجموعه واجبات المخلوق نحو الخالق واجبات الانسان نحو الله وواجباته نحو الجماعه وواجباته نحو نفسه :

ويقول ماكس ميلر فى كتاب " نشأة الدين ونحوه " :

" الدين هو محاولة تصور مالا تمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه هو التطلع الى اللانهائى هو حب الله " .

ويقول ميشيل مايير فى كتاب " تعاليم خلقيه ودينيه " :

" الدين هو جملة العقائد والوصايا التى يجب أن توجهنا فى سلوكنا مع الله ومع الناس وفى حق انفسنا "

ويقول ايميل دوركايم فى " الصور الاوليه للحياة الدينية " .

" الدين مجموعه متسانده من الاعتقادات والاعمال المتعلقه بالاشياء المقدسه " أى المعزوله المحرمه " اعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحده معنويه تسمى الملة " .

وبعد أن عرض الدكتور دراز هذه التعريفات .

استنتج منها وجود ثلاثة آراء رئيسيه .

الـــرأى الاول :

يرى أصحاب هذا الرأى أن الدين يشمل كل الاديان سواء الصحيحه منها أى المستنده الى الوحى السماوى أو الخرافيه التى هى من وضع البشر ويتدخل فيها الخيال البشرى ويستندون فى رأيهم هذا الى قوله تعالى " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخره من الخاسرين " (١)

وقوله تعالى " لكم دينكم ولى دينى " (٢)

(١) سورة آل عمران آيه ٨٥ (٢) سورة الكافرون آيه ٦

اذن فهذا الفريق يعتبران الدين هو الاعتقاد بوجود قوه غريبه لها حق التصرف فى الكون دون راد لقضائها أو تصرفها يجب التوجه اليها بالطاعه والخضوع والعباده ..

الرأى الثانى :

ويرى أصحاب هذا الرأى أن الدين لا يكون الا من عند الله منزل وحيا الى رسل مؤيدين بالمعجزات .

الرأى الثالث :

يرى أصحاب هذا الرأى أن الدين يقوم أساسا على المبادئ الاخلاقية البعيده عن فكره وجود الاله الخالق اللانهائى الذى لا يحيط به التصور .

ويستندون فى رأيهم هذا الى وجود أديان فى الشرق تقوم على اساس أخلاقى بحت خال من تأليه كائن ما وذلك مثل البوذيه والجاينيه والكونفوشيوسيه ويرون أن الذين ألهو "بوذا" "وجينا" انما هم مبتدعون خارجون عن أصول دينهم .(١)

---

(١) الدين د . محمد عبد الله دراز ص ٣٢ ، ٣٤

٣ـ فطرية التدين:

يقول الدكتور بيصار:

"ان فكرة التدين والاعتقاد بوجود الله كامنة في نفس الانسان ومغروسة في طبعة لا يختلف فيها انسان عن انسان آخر الا بمقدار ما يختلفان في عوامل البيئة والتربية والوراثة وفي درجة المؤثر العائق الذى قد يحول بينهم وبين فطرهم السليمة ونزعاتهم الضرورية المودعة في طبائعهم الانسانية قال تعالى: "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم"(١)

وقد شهدت السنة النبوية بهذا الأصل الاسلامي الكريم في قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"(٢) ولهذه العوائق والمؤثرات التي تحول بين الناس وفطرهم يفسر انصراف كثير منهم عن الايمان الصحيح والاعتقاد بوجود الله، وسواء كان الاهتداء الى وجود الله والكشف عن حقيقة ذاته عن طريق النظر العقلي أو الشعور الوجداني والاحساس الباطني فان هذا النوع من المعرفة على كلا الطريقين يعتمد على الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها ويستمد مما ركز في طبائعهم منذ خلقهم الأول وهم في ظهور آدم على ما أشار اليه الحق في قوله "واذ أخذ ربك من بني

---

(١) سورة الروم آية ٣٠ (٢)

آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ".(١)

اذن ففكرة التدين هى نزعة فطرية فى النفس البشرية ولم تتأخر عن نشأة الانسان ، أما انصراف الانسان عن العقائد الحقة الى العقائد الزائفة الباطلة فهذا ينشأ عادة من اخفاق الانسان فى فهم مركزه ووظيفته فى الكون وهذا بالطبع يكون تحت حاجات الانسان الملحة وضرورات حياته المادية ومقومات وجوده من هذه الناحية مما دفع به الى التفاعل بقوة مع هذه المادة وبالغ فى ذلك وأسرف حتى انحسر تصوره عن ما سواها من وجود وأغفل عقله كل ما عداها من قيم روحية وعندئذ أنكر كل ما عدا المحسوس من موجودات وغالط نفسه وخالف طبيعته فحكم حكمه القاصر بأنه لا موجود الا المحسوس دون أن يلتفت الى ما فى ذلك من انكار لذاته بل لاشرف وأكرم جانب فى خصائصه الانسانيه ... وهكذا ترجع نزعة الالحاد وانكار الألوهية فى الانسان الى نوع من الانحراف الفكرى والعقدى سببته العوامل المتقدمة يفسد الفطرة ويميل بها عن سواء السبيل وصراط الله المستقيم الذى أشار اليه سبحانه وتعالى فى قوله : " وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ".(٢)(٣)

---

(١) سورة الاعراف آيه ١٧٢ (٢) سورة الانعام آيه ١٥٣

(٣) العقيدة والاخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع د. محمد بيصار ط الثانية ص١٣١ ـ ١٣٢

ويذكر الدكتور دراز أن هناك من الباحثين من كان ينكر أن الدين فطرى فى النفس الانسانيه ويرى أنه استحدث لدى البعض من الشر لغرض أو لمآرب فى نفوسهم يريدون الوصول اليه فينقل لنا رأى فولتير فى ذلك حيث يقول :

" ان الانسانيه لا بد أن تكون قد عاشت قرون متطاوله فى حياه مادية خالصة قوامها الحرث والنحت والبناء والحداد ، والنجاره قبل ان نفكر فى مسائل الدينيات والروحانيات " بل قال : ان فكره التأليه انما اخترعها دهاه ماكرون من الكهنه والقساوسه الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء .

ثم يوضح د . دراز أن نفس هذا الرأى كان موجود لدى أهل السفسطه من اليونان وينقل عنهم هذا الزعم حيث يقولون .

" أن الانسان كان فى أول نشأته يعيش بغير رادع عن قانون ولا وازع من خلق وأنه كان لا يخضع الا الى القوة الباطشة ثم كان ان وضعت القوانين فاختفت المظاهر العلنيه من هذه الغوضى البدائيه ولكن الجرائم السرية ما برحت سائده منتشره .... فهنالك فكر بعض العباقره فى اقناع الجماهير بأن فى السماء قوه أزليه أبديه ترى كل شئ وتسمع كل شئ وتهيمن بحكمتها على كل شئ " .

ويعلق الدكتور دراز على ذلك الرأى بقوله : " وهكذا لم تكن القوانين والديانات فى تصويرهم الا ضروريا من

السياسة الماهرة التى تهدف الى علاج أمراض المجتمع بكل حيلة ووسيلة)(١)

ثم يوضح الدكتور دراز خطأ رأى هؤلاء الباحثين ويؤكد على فطرية الدين فينقل لنا بعض الآراء التى تثبت ذلك . يقول معجم " لاروس " للقرن العشرين .

" ان الغريزة الدينية : مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها الى الحياة الحيوانية .... وان الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية " .

ويقول هنرى برجسون : " لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة " .

اذن فكل هذه الآراء تعتبر أدلة قوية على أن فكرة التدين موجودة بوجود الانسان ولم تتأخر عن نشأته .

كذلك يأتى الدكتور دراز بالعديد من الآراء التى تثبت أن فكرة التدين والشعور الدينى سيبقى ما بقيت البشرية على مر العصور .

يقول الدكتور " ماكس نوردوه " عن الشعور الدينى :
" هذا الاحساس أصيل يجده الانسان غير المتدين .

---

(١) الدين . د . عبد الله دراز . ص ٨١ ، ٨٢

ويقول أرنست رينان فى تاريخ الأديان :

" ان من الممكن ان يضمحل كل شىء نحبه وأن تبطل حريه استعمال العقل والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحى التدين بل سيبقى حجه ناطقه على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يحصر الفكر الانسانى فى المضايق الدنيئه للحياه الارضيه " .

أيضا يقول الاستاذ محمد فريد وجدى :

فى دائره معارفه " نعم يستحيل أن تتلاشى فكره التدين لانها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ناهيك بميل يرفع رأس الانسان بل ان هذا الميل سيزداد ... ففطره التدين ستلاحق الانسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطره على نسبه علو مداركه ونمو معارفه "(١)

ومن هنا يتضح لنا أن الدين فطرى فى النفس الانسانية وأن بينه وبين الانسان تلازم فى الوجود فاذا وجد الانسان وجد الدين والعكس صحيح وهذا ما يجعلنا نستطيع ان نعرف الانسان بأنه حيوان متدين كما أطلق عليه أنه حيوان ناطق وذلك لأن التدين ضرورة اجتماعية كما هو فطره انسانية .

---

(١) الدين : د . محمد عبدالله دراز ص ٨٤ : ٨٩ بتصرف

٤ـ ضرورة الدين للبشرية :

" لقد خلق الله تعالى البشر فى جماعات . ومن المسلم به جدلا أن الحياة الطبيعية السوية فى أى جماعة من الجماعات لاتتحقق وتؤتى ثمارها دون أن يكون بين أفرادها التعاون البناء وهذا التعاون لايتم الا اذا وضعت له النظم والقوانين التى تجعله يقوم على أساس من العدل والمحبة لجميع أفراد هذه الجماعة ، والدين نظام ربانى كريم يقوم على مبادئ سامية خطها الحكيم الخبير الذى لايضل ولا يخطئ ورضيها لعباده دستورا يقودهم فى دنياهم الى حياة حرة كريمة عزيزة ويعدهم فى أخراهم لميراث جنة عرضها السموات والأرض ، فهو اذن مطلب انسانى رفيع يغذى جانب الروح ولا ينسى حاجة العقل "(١) . فالدين هو الذى يعرف الناس العقيدة الحقة فى الله ذاتا وصفاتا وفى الرسل الكرام ما يجوز فى حقهم وما يستحيل وما يجب وهو الذى يخبرنا عن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب ولولا الدين ما استطاع العقل الانسانى مهما أوتى من حدة فى الذكاء أن يدرك ذلك ادراكا صحيحا كما جاء فى الدين ... كما أن الدين هو الذى يعرفنا الشريعة الحقة من صلاة وصيام وزكاة وحج وهو الذى يبين لنا طرق المعاملات الصحيحة كما حد الحدود ووضع القوانين التى تحمى وتصون النفس والمال والعرض ... وبالرغم من أهمية الدين للناس الا أن البعض يتوهم أن هناك أمور يستطيع الانسان أن يستغنى بها عن الدين وهى :

---

(١) العقيدة الاسلاميه فى ضوء النقل والعقل والقلب د . عبد السلام محمد عبده ص ٥٩ ط الاولى وأيضا العقيده والاخلاق د . محمد بيصار ص ٨٦ ط الثانية ، الدين د . عبد الله دراز ص ١٠٩ .

أولا : العقل :

يزعم البعض أن العقل كاف فى الوصول الى حقائق الأشياء والحكم عليها سواء بالحسن أم بالقبح اذن فليس هناك حاجة للدين ٠

ولكن هذه الدعوى باطلة حيث أنه على الرغم من تكريم الله تعالى للانسان وتمييزه عن سائر المخلوقات بالعقل وتقدير العقل وجعله فى مكانة سامية حيث أنه مناط التكليف والحساب الا أن العقل ليس كافيا فى معرفة حقائق الأشياء حيث أن العقل قاصر عن ادراك عدة أمور منها :

١ـ ذات الله تعالى مما يجب ويجوز ويستحيل فى حقه تعالى وصفات الكمال والجلال لله تعالى وصفات التنزيه فلا يستطيع العقل الوصول الى هذه الحقائق الالهية الغيبية بدون ارشاد من رسول يوجهه ويوضح له هذه الحقائق ٠

٢ـ اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب حيث أنه من الأمور السمعية التى لا يستطيع العقل أن يستقل بمعرفتها ٠

٣ـ الجانب الشرعى العملى من الدين لا يستطيع العقل أن يصل الى ادراكه ومعرفته بمفرده كالصلاة والصوم ٠٠٠ الخ ٠

لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم " صلوا كما رأيتمونى أصلى "

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

" من أبرز ما يميز الرسالة الاسلامية عن غيرها من الرسالات السماوية هو ربطها بالعقل وجعل أحكامها وتشريعاتها فى

متناول أوساط ذوى العقول من الناس بحيث تبدوا وكأنها بعض الحياة التى يحيونها ويقلبونها بين أيديهم ويختبرونها بكل ما عندهم من رسائل الاختبار فيقبلون فيها ما يقبلون عن اطمئنان وثقه ورضى دون أن يكون هناك تسلطات من خداع مادى أو أدبى تغشى حس العقل وتلفه بدخانها وتغرقه فى ظلامها فلا يملك العقل من أمره شيئا بل يتحرك حيث يحركه التيار المتسلط عليه ويقف حيث يقف به .

من أجل هذا كانت رسالة الاسلام قائمه على طريق الخلود تلتقى بالانسان حيث كان فى كل زمان وفى كل مكان لانها دعوه موجهه اليه توجيها مباشرا من السماء ليس بينه وبينها أحد . الا الرسول الذى تلقاها من ربه ثم تركها ميراثا مشاعا بين الناس جميعا .

شرط واحد اشترطه الاسلام لمن يتلقونه ويدينون به هو أن يتلقونه بعقولهم وأن يأخذوا أحكامه وتعاليمه عن نظر وبحث واقتناع فمن لم يجد مقنعا بعد البحث وتقليب النظر فهو فى حل من أمره اذ "لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى"(١) فان الذى يقف ازاء الحق موقف الطالب له المخلص فى البحث عنه لا بد أن لا يلتقى به يوما ان لم يكن اليوم ففى غد أو بعد غد"(٢)

---

(١) سورة البقرة / ٢٥١
(٢) التعريف بالاسلام للاستاذ عبد الكريم الخطيب ص ٥٥ ط الاولى سنه ١٩٦٥ .

فالعقل في نظر الدين عامه والدين الاسلامى خاصه له مكانته فهو مناط التكليف والحساب وبدونه يسقط التكليف والحساب لكن هذه المكانه السامية التى تبدأ الدين العقل اياها لا تجعل فيه الغناء عن الدين لما ذكرنا من قبل .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود :

" يذهب بعض الناس الى الاعتقاد بأن القرآن يحتاج الى العقل فى الاسترشاد به وبآرائه ويقولون بأن القرآن هو كتاب العقل وبأنه دين العقل بمعنى أنه يحتكم الى العقل .

لذلك فهو يدعونا الى استعمال العقل ووزن كل شئ بميزانه وأنه يترك لنا الحرية فى أن نعتقد ما يرشد اليه عقلنا وأن نتبع السبيل الذى ينيره منطقيا أو يهدينا اليه تفكيرنا وهم فى ذلك يعتقدون أنهم يخدمون الدين ويؤيدون القرآن بهذا الموقف . وهم يستندون فى ذلك على الآيات القرآنية نفسها وعلى موقف المسلمين أنفسهم فى تاريخهم الطويل من الفكر الانسانى ومن المفكرين الذين اتبعوا منطقهم وتفكيرهم الخاص .

ومن الآيات التى يستدلون بها والتى يتقدمون بها كشاهد : الآيات الكريمه التاليه :

"(واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) (١)

وقال تعالى (واذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) (٢)

وغيرها من الايات الكريمه التى يعتبرون القرآن فيها يحكم العقل فى المسائل والمبادىء والقواعد .

وينتهى بذلك لا مناص بأن يكون العقل هو القائد وليس الدين وذلك قلب للأوضاع وانحراف عن الصراط المستقيم .

أما الصراط المستقيم فيما يتعلق بصله الدين بالعقل فهو :

١ ـ أولا : جاء الدين هاديا للعقل فى مسائل معينه هى

أولا : ما وراء الطبيعة : أى العقائد الخاصة بالله سبحانه وبرسله صلى الله عليهم وسلم وباليوم الآخر وبالغيب الالهى على وجه العموم .

وثانيا : فى مسائل الاخلاق : أى الخير و الفضيلة وما ينبغى أن يكون عليه السلوك الانسانى ليكون الشخص صالحا .

---

(١) سورة البقرة / ١٧٠ (٢) سورة لقمان / ٢١

وثالثا : في مسائل التشريع الذى ينتظم به المجتمع وتسعد به الانسانية ٠

وجاء الدين هاديا للعقل فى هذه المسائل بالذات لأن العقل اذا بحث فيها مستقلا بنفسه فانه لا يصل فيها الى نتيجه يتفق عليها الجميع ٠

ومعنى ذلك :- أنه لو ترك الناس وعقولهم فى هذه المسائل فانهم يختلفون ويتفرقون ويتنازعون ٠

٢ - وجاء القرآن يفهمه العقل فى الحكم فيه ولا يناقض العقل فى المتشابه منه ٠

٣ - وجاء القرآن حاسما لا يتردد ولا يقر التردد ولا يتشكك ولا يقر التشكك وكان الأمر كذلك لأنه جاء بالحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠

٤ - وجاء القرآن لا يستشير الانسان فى شئ وتعالى الله عن أن يستشير المخلوق وتعالى الرب عن أن يستشير المربوب وتعالى العليم الحكيم عن أن يحتكم الى البشر أو يحكمهم فيما أنزله اليهم هدايه وتربيه ٠

اذن فالقرآن دين العقل بمعنى :

أنه هاد للعقل ومرشد له وقائد ، وهو مبادئ يفهمها العقل فى سهوله ويسر وهو لا يناقض العقل ٠ وعلى

العقل أن يلجأ اليه فـي كل ما أتى بـه)(١)

والخلاصة أن العقل اذا كان قد تبوأ مكانة سامية فى الدين يجعله منـاط التكليف الا أنه لا يستطيع أن يقنن القوانين ويضع القواعد والأحكـام الدينية الشـرعية منها أو العقدية فهو مقياس يزن الأمور فقط أما الحاكـم الذى يصدر الأحكام الدينية فهو الله تعالى وحده دون سواه .

(١) التوحيد الخالص أو الاسلام والعقل . د . عبد الحليم محمود صـ ١٥ ـ ٢٠ بتصرف.

ثانيا : القانون الوضعى :

((يرى البعض أن فى القانون الوضعى ما يغنى عن الدين فهو خير كفيل لهذه المهمة لنفوذ سلطانه وطاعة أوامره بما وضعه من عقوبات رادعة للمخالفين وحدد الجزاءات المغرية للطائعين . ففى هذا القانون ما يكفل للانسان الأمان على نفسه وماله وعرضه . لكننا نقول أن هذه الدعوى باطلة ومرفوضة لأن القانون الوضعى مع ضرورته لضمان الأمن والسلام وتحقيق العدل بين أفراد المجتمع الا أنه لا يغنى عن الدين .. ويوضح ذلك الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار مبينا أنه لا غنى عن الدين بالقانون الوضعى لأمرين :

الأول : أن القانون الوضعى قد يفقد فى بعض حالاته صفة الالزام لأن طاعة القانون خوفا من العقاب أو رغبة فى الجزاء لا يمكن أن تأخذ صفة الالزام ولا يتوفر لها عنصر القوة الذى هو ضرورى لسواد هذا القانون واحترامه فى جميع الأحوال وتحت كل الظروف فسرعان ما يعصى القانون عند أمن اطلاع السلطة المنفذة على المخالفة بخلاف الدين فان المراقب فيه لا تخفى عليه خافية وهو الله سبحانه وتعالى " ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا " (١)

الثانى : أن القانون من وضع البشر فالواضع له اما أن يخطىء خطأ غير مقصود فى تحريه للعدالة ووجه الحق واما أن يتوخى فيه مصالح جماعة معينة أو طائفة خاصة ويعمل على حماية مصالحهم ضد الآخرين أو اعطائهم حقوقا أكبر من الآخرين فالقانون الوضعى لا يكفى ولا يغنى عن الدين)) (٢)

---

(١) سورة المجادلة آية "٧"

(٢) العقيدة والاخلاق ص٥٠ محمد بيصار ص ٨٦، ٨٧ ط الثانية

(ويتحدث صاحب كتاب الخلق الكامل في هذا فيقول :

القوانين الوضعيه على فرض اصابتها الفرض المقصود فيما يناسب سعاده المجتمع لا تزع الناس عن الاخلاق الذميمه والافعال الضاره الا ظاهرا لان ما ترتب عليها من أنواع العقوبات لا يتحقق الا اذا علم من صاحب ذلك الخلق تلك الفعال بخلاف ما كان خفيا في الانفراد ولا يطلع عليه أحد أو تواطأ المطلعون على اخفائه على أن كثيرا ما يحصل الاغضاء عن العقوبه بوسائل المحبه وما جرى مجراها وعلى فرض ذلك فمن أين لنا أن السيطر لا يعوقه عن الحكم بالعقوبه أو تنفيذها عوائق أخرى ..." (١)

(يقول الدكتور دراز : أجل أن الانسان يساق من باطنه لا من ظاهره وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافتين وحدهما لا قامه مدينه فاضله تحترم فيها الحقوق وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل فان الذى يؤدى واجبه رهبه من السوط أو السجن أو العقوبه الماليه لا يلبث أن يهمله متى اطمأن الى انه سيفلت من طائلة القانون) (٢)

---

(١) الخلق الكامل . محمد أحمد جاد المولى . ط الاولى ص ٨٤ ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م ط حجازى .

(٢) الدين د . محمد عبد الله دراز ص ١٠١ : ١٠٢

اذن يتضح لنا أن القانون الوضعي لايغني عن الدين ويتجلى ذلك لنا من خلال استعراض الفروق بين القانون الوضعي وبين الدين وهي :

١ــ أن واضع القانون السماوي هو الله وهو سبحانه وتعالى لا يضل ولا يزل ولا يخطىء ٠٠٠ أما واضعوا القانون الوضعي فهم البشر الذين هم عرضه للخطأ والنسيان ٠

٢ــ أن الناس أمام قانون السماء سواء لا يتفاضلون بالألوان ولا بالأجناس بل كلهم سواسية كأسنان المشط وليس لأحدهم فضل على الآخر الا بالتقوى ٠٠٠ أما القوانين الوضعية فهي تفاضل بين الناس على وفق الأجناس والألوان ٠

٣ــ أن القانون السماوي له تأثير على النفوس فيخشاه الانسان في السر والعلانية ٠٠٠ أما القانون الوضعي فاذا أمن الانسان عقابه لا يتورع عن مخالفته ٠

ثالثا : العلم والتقدم التكنولوجي :

قد يزعم البعض أن العلم الحديث وتطبيق النظريات العلمية في المجتمع يمكن أن يغني الانسان عن الأحتياج الى الدين ويضمن له السعادة والأمن ٠

ولكننا نرد على هذا الزعم الباطل بأن العلم لا يصلح لأن يكون ضمانا لاستتباب الأمن والسلام بين أفراد المجتمع لأنه سلاح ذو حدين حيث يستخدم في الخير وفي الشر أيضا فهو يخدم الانسانية ويدفعها الى التقدم والرقي وهو في الوقت نفسه يمكن أن يساعد على شن الحروب وسيطرة القوى على الضعيف والعالم على الجاهل ٠

" ويؤكد هذا القول الدكتور دراز حيث يقول : ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانا للسلام والرخاء عوضا عن التربية والتهذيب الديني والخلقي ذلك أن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير ولا بد في حسن استخدامه من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الانسانية وعمارة الارض لا الى نشر الشر والفساد) (١)

ويقول د . بيصار :

" وشأن العلم من غير عقيدة ، توجهه وقيم روحيه تصونه وايمان يحفظه من الانحراف والغرور شأن طائره من غير طيار أو قطار من غير سائق فطاقاتها موجوده ومهيأه ولكن هذه الطاقات مالم يكن لها عقل مدبر أو فكر موجه تكون وبالا وشرا على الانسانية" (٢)

---

(١) الدين د . محمد عبد الله دراز ص ١٠٢

(٢) العقيدة والأخلاق د . بيصار ص ٨٨

وبذلك يتضح لنا أن البشرية فى حاجة ماسة الى الدين حتى تنتظم حياتها ويحترم الجميع القوانين الالهية ٠

٥ـ أصل العقيدة الدينية منذ بدء الخليقة :

يقول الاستاذ عباس محمود العقاد :

يرى علماء المقارنة بين الأديان أن الانسان ترقى فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى وكذلك كانت علومه وصناعاته فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات ٠

وينبغى أن تكون محاولات الانسان فى سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته فى سبيل العلوم والصناعات لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطلبا وأطول طريقا من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التى يعالجها العلم تارة والصناعات تارة أخرى ٠

ويعرف علماء الأديان ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية فى اعتقادها بالآلهة والأرباب وهو :

دور التعدد

ودور التمييز والترجيح

ودور الوحدانية

ففى دور التعدد كانت القبائل الأولى تتخذ لها أربابا بالعشرات وقد تتجاوز العشرات الى مئات ويوشك فى هذا الدور أن يكون لكل أسرة كبيرة رب تعبده أو تعويذة تنوب عن الرب فى الحضور وتقبل الصلوات والقرابين

وفى الدور الثانى وهو دور التمييز والترجيح تبقى الأرباب على كثرتها ويأخذ رب منها فى البروز والرجحان على سائرها ، اما لأنه رب القبيلة

الكبرى التي تدين لها القبائل الأخرى بالزعامة وتعتمد عليها فى شئـــــون الدفاع والمعاش وإما لأنه يحقق لعباده جميعا مطلبا أعظم وألزم من ســائــر المطالب التى تحققها الأرباب المختلفة ٠

وفى الدور الثالث تتوحد الأمة فتجتمع الى عبادة واحدة تؤلف بينها مع تعدد الأرباب فى كل اقليم من الأقاليم المتفرقة ويحدث فى هذا الــدور أن تفرض الأمة عبادتها على غيرها كما تفرض عليها سيادة تاجها وصاحـــب عرشــــها ٠ ٠ ٠ ولا تصل الأمــة الى هذه الوحدانية الناقصة الا بعــد أطوار من الحضارة تشيع فيها المعرفة ويتعذر فيها على العقل قبول الخرافات التى كانت سائغة فى عقول الهمج وقبائل الجاهلية فتصف الله بما هو أقــرب الى صفات الكمال والقداسة من صفات الآلهة المتعددة فى أطوارها السابقة وتعترف العبادة بالتفكير فى أسرار الكون وعلاقتها بارادة الله وحكمتــــه الســـامية ، وكثيرا ما ينفرد الاله الأكبر فى هذه الأمم بالربوبية الحقـــة وتنزل الأرباب الأخرى الى مرتبة الملائكة أو الأرباب المطرودين من الحضــرة السماوية والرأى الراجح عند علماء الأديان أن الاعتقاد بالثنائية يأتـــى أحيانا كثيرة بعد اعتقاد الوحدانية ويعللون ظهور الثنائية بعد الوحدانيــة بأن الانسان يترقى فى هذا الطور فيحاول تفسير الشر فى الوجود بنسبتــه الى اله غير اله الخير ٠ ولا يكون هذا من قبيل النكسة فعقيدته لأنه لا يــزال يسيغ تعدد الأرباب ويسيغ التمايز والترجيح بينها والتفاوت بين درجاتها وطبائعها ٠ و فلا تكون الثنائية بعد الوحدانية نكسة من الأعلى الى الأدنى بل تقدما من الأدنى الى الأعلى لتنزيه الله والارتفاع بصفاته الى أرفـــع صور الكمال الموافقة لترقى الانسان فى أطوار العبادة ولكن بعد هــــذا العرض لرأى هؤلاء العلماء نقول ان فكرة ترقى الانسان فى العقائد ترقيــه فى العلوم والصناعات وقول هؤلاء العلماء بأن هناك ثلاثة أطوار عامــــة

مرت بها الشعوب حتى وصلت الى الوحدانية ٠٠٠ هذا الرأى خاطىء من وجهة النظر الاسلامية ، ويوضح لنا ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى :
" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ٠ قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا ٠ أنك أنت العليم الحكيم ٠ قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم ٠ فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وماكنتم تكتمون " (١)

اذن كان آدم على علم بالله عز وجل بل كان أكثر البشر معرفة به جل شأنه ٠ فتكون الوحدانية ومعرفة الله هى الطور الأول من الأدوار التى مرت بها عقائد الشعوب حسب ما يقرره القرآن ، ولم تنقطع صلة آدم ، بالله سبحانه وتعالى عقب هبوطه الى الأرض بل اصطفاه ربه ليبلغ بنيه حقيقة الحق فلم يعرفوا الا الها واحدا لاشريك له ولم يتخذوا أربابا بالعشرات كما يزعم علماء مقارنة الأديان ٠٠٠ ولو كانت نظرية ارتقاء الانسان فى العقائد كارتقائه فى العلوم والصناعات صحيحة ولو كان قول علماء الأديان بأن هناك ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية فى اعتقادها بالآلهة والأرباب حتى وصلت الى دور التوحيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لحق على البشرية ألا ترتد ألى عبادة أرباب متفرقين بعد أن اهتدت الى الاله الواحد ٠ بيد أن الواقع التاريخى يدحض هذه المزاعم كلها ، فقد كانت البشرية تعرف التوحيد ثم تعود الى الشرك ثم التوحيد فالشرك ، والقرآن الكريم يوضح هذه الحقيقة توضيحا دقيقا ، يقول تعالى :

---

(١) سورة البقرة الآيات ٣٢ : ٣٣

" ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . " (١)

اذن الوحدانية هى أصل العقيدة الدينية وكلما طال على الناس العهد تقسوا قلوبهم ويتخذون من دون الله أربابا فيرسل الله تعالى لهم الرسل ليعيدهم الى الرشد والحق والصراط المستقيم . قال تعالى :

" والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون . " (٢) وقال تعالى :

" والى ثمود أخاهم صالحا . قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها . فاستغفروه ثم توبوا اليه . ان ربى قريب مجيب . " (٣)

وهكذا يتبين لنا أن الوحدانية كانت أصل نشأة العقيدة الدينية لا كما يزعم علماء الأديان من أنها كانت الطور الأخير من أطوار العقيدة الدينية ... كما يتبين لنا أن التوحيد هو دعوة كل الرسالات السماوية وكان الاسلام هو الاسم الذى أطلق على كل عبادة تدعو الى التوحيد وهذا يجرنا الى موضوع آخر وهو أن الدين المعتبر هو الاسلام . "(٤)

٦ـ ان الدين عند الله الاسلام :

فالاسلام هو الاسم الذى أطلق على الدين الذى ارتضاه الله لعباده فقد قال تعالى عنه :

---

(١) سورة الحديد آية "١٦"

(٢) سورة الأعراف آية "٦٥"

(٣) سورة هود آية "٦١"

(٤) كتاب الله بقلم عباس محمود العقاد ص ٢٨، ٢٩ ط الثالثة دار المعارف بمصر بتصرف .

" أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون " (١)

وتوضح آيات القرآن الكريم أن كل رسول جعل اسم الاسلام علما على الدين الذى يدعو له .. قال تعالى على لسان نوح :

" وأمرت أن أكون من المسلمين " (٢)

وعن ابراهيم عليه السلام يحكى القرآن :

" اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين "

وعن يعقوب يقول القرآن الكريم :

" اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون (٣)

وعلى لسان موسى يحكى القرآن الكريم :

" ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين " (٤)

وبلقيس حين أسلمت قالت :

" رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . " (٥)

ويقول الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام :

" ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . " (٦)

---

(١) سورة آل عمران آية "٨٣"
(٢) سورة يونس آية "٧٢"
(٣) سورة البقرة آية "١٣٣"
(٤) سورة يونس آية "٨٤"
(٥) سورة النمل آية "٤٤"
(٦) سورة آل عمران آية "٦٧"

٧– ما يتضمنه الاســـلام :

اذا نظرنا فى الحقائق التى أتى بها الاســلام لوجدناها قسمين : عقيــدة وشـــريعة ٠

أولا : العقيدة :

هى الجانب النظرى من الدين الذى يجب على المؤمن الايمان بـه ايمانا يقينيا مبنيا على التصديق الجازم مع الشعور بالرضـــى والقبول واقبال النفس عليه والاطمئنان به ، قال تعالى :
" الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان " (١) (٢)

وهى عبارة عن التصديق بوجوب الوجود لله عز وجل والتصديـــق بوحدانيته وباتصافه بكل صفات الكمال وبأحقية القرآن وأحقيـــة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والبعث والجنة والنار كل هـــذه أمور اعتقادية نظرية تتعلق بالاعتقاد الذى محله القلب ودائرتـــه الفكر والنظـــر (٣) ٠٠ وبنظرة فاحصة فى هذا الجانب من الديـــن الاســلامى نجد أن الحكم فيه يتعلق بأمر قلبى ٠ وكما ذكرنا آنفـــا أن مسئوليتنا حياله انما هى التصديق به تصديقا جازما ، وقـــد سمى هذا القسم من الدين فى القرآن باسم الايمان وسمى فـــى العرف العام باسم العقيدة ، وقد فسر كل من القرآن الكريـــم والســنة النبوية أركان العقيدة الاسلامية فقال تعالى :
" آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن باللـــه وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله " (٤)

---

(١) سورة النحل / ١٠٦ (٢) العقيدة والاخلاق د ٠ بيصار صـ ٩٣
(٣) المرجع السابق ص ٩٢ (٤) سورة البقـــرة / ٢٨٥

وقال تعالى " ليس لبر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين " (١)

وفي حديث جبريل المروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره " (٢)

وأيضا عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان عليه من العمل (٣) . "

وهذا الحديث يتضمن الأصول الثلاثة للعقيدة الاسلامية التي أوجب الاسلام على المسلم معرفتها وهي :

الأصل الأول : معرفة الله تعالى وصفاته والايمان به .

الأصل الثاني : معرفة الواسطة بين الله وعباده وهي الايمان برسل الله وملائكته وكتبه وماجاءت به من تشريعات .

الأصل الثالث: معرفة البعث والحساب والايمان بهما .

والعقيدة هي المرحلة الأولى من دعوة الرسل جميعا وكانت دائما كاملة ومستوفاة لجميع أركانها ولذلك كانت هي الأصل والأساس بالنسبة للدين .

---

(١) سورة البقرة آية " ١٧٧ "

(٢)

(٣)

ثانيا : الشـــريعة :

هى الجانب العملى من الدين فهى عبارة عن القوانية والنظم الـــتى وضعها الله سبحانه وتعالى ورتب قواعدها وأصولها لتنظم علاقـــة الانسان بربه وعلاقته بالناس وعلاقته بالكون المحيط به . (١)

وهذا القسم من الدين لا يتعلق بالاعتقاد الذى محله القلـــب ولكنه يتعلق بالأعمال التى تؤديها الجوارح خضوعا لله ســبحانـه وتعالى وامتثالا لأوامره ، وهى مثل الصلاة والصوم والزكاة والحـــج وحرمة المال والنفس والعرض ... وقد نص القرآن على هذه الشرائع ووضحها قال تعالى :

" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضـوا الله قرضا حسنا وما تقدمـــوا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا . واســـتغفروا الله . ان الله غفور رحيم " (٢)

وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتـــب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات . فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر . وعلى الذين يطيقونه فديـــة طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خيـــر لكـــم ان كنتم تعلمون " (٣)

وقال تعالى : " وأتموا الحج والعمرة لله " (٤)

وقال تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بمـــا كسبا نكالا من الله . والله عزيز حكيم " (٥)

(١) الاسـلام عقيدة وشريعة د. محمود شلتوت ص ٢٣ بتصرف
(٢) سورة المزمل آيـــة "٢٠" (٣) سورة البقرة آية ١٨٣ـ١٨٤
(٤) سورة البقرة آيـــة "١٩٦" (٥) سورة المائدة آيـــة "٣٨"

وقال تعالى : " ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا[(١)]

وقال تعالى " ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا " [(٢)]

الى غير ذلك من الآيات التى تحدثت عن مسائل الشريعة ٠

واذا كانت العقيدة هى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة فى كل الرسالات فقد جاءت الشريعة دائما فى المرحلة الثانية ٠

اذن الاسلام ينقسم الى عقيدة وشريعة وكل منهما تكمل الأخرى فيكون منهما معا الدين الحق الذى رضيه الله سبحانه وتعالى لعباده ولقد كانت كلمة الله الجامعة لمعرفة شعبتى الاسلام هو القرآن الكريم الذى جاء للناس بالهدى ودين الحق وبين لهم أن الاسلام لا يكون ولا يثبت معناه ولا ينجى المسلم يوم القيامة الا اذا أخذ هذان القسمان "العقيدة والشريعة " طريقهما الى قلبه وجوارحه معا ٠ ولقد بين القرآن الكريم هذا المعنى أوضح بيان ٠٠ قال تعالى :

" ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا " [(٣)]

اذن لا يستطيع المرء أن يستغنى بأحدهما عن الأخرى ٠

" وكما أطلق القرآن الكريم على العقيدة اسم الايمان كما ذكرنا فكذلك أطلق على الشريعة اسم العمل الصالح أو الاستقامة قال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" [(٤)]

وقال تعالى " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [(٥)]

---

(١) سورة الاسراء / ٢٣ — (٢) سورة الاسراء / ٣٢
(٣) سورة الكهف / ١٠٧ — (٤) سورة العصر /
(٥) سورة الاحقاف / ١٣

الفصل الثالث

الالهيات

١ـ الايمان بالله تعالى ٠

٢ـ أدلة وجوده تعالى ٠

٣ـ صفاته تعالى ٠

المبحث الأول

١ ـ الايمان بالله تعالى

ان وجود الله تعالى من الأمور المركوزة فى الفطرة والطبيعة البشرية حيث جبل عليها الانسان فهو يحس فى وجوده موجودا كبيرا هو الهه الذى يطيعه ويتوجه اليه بالعبادة ، وهى فطرة تظهر من تلقاء نفسها وذلك فى لحظات الضيق والخطر والألم فلا يكان الانسان يواجه موقف من المواقف العصيبة حتى يتوجه الى الله بقلبه داعيا متوسلا راجيا الرحمة والخلاص من هذه الشدة أو هذا الألم ... ولذلك نجد القرآن الكريم يصور لنا هذه الفطرة الانسانية بقوله تعالى :

" واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون " (١)

وقوله تعالى " واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون " (٢)

اذن وجود الله تعالى أمر فطرى فى النفس البشرية وليس بحاجة الى الاستدلال عليه واذا كان هناك صور لعدم الايمان بالله تعالى فهذه النماذج هى مشركة بالله تعالى وليست جاحدة لوجوده مطلقا وأن هذا الشرك الحال بها انما هو اما عنادا واستكبارا واما شعورا بالنقص الشديد ، ويوضح القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى :

" ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون " (٣)

---

(١) الروم آية ٣٣   (٢) يونس آية ١٢   (٣) لقمان آية ٦٥

وقوله تعالى :
" ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن اللـه . فأنى يوْفكون " (١)

اذن فالله تعالى موجود داخلهم ولكنهم يشركون به ، لذلك نجـد أن القرآن الكريم لم يتناول قضية وجود الله بطريقة مباشرة لأنه اعتبر هـذه القضية بديهة من البديهيات ليست بحاجة الى الاستدلال عليها ، وانمـا القضية التى تناولها بالعرض والتحليل وتوقف أمامها كثيرا هى قضية وحـدة الألوهية وتنزيها عن الشرك حيث رأى القرآن الكريم أن هذه القضية هـى الجديرة بالبحث والمناقشـة .

واذا كان القرآن الكريم قد تعرض لقضية وجود الله تعالى بالتوضيـح فذلك من أجل هذه الطائفة التى تقاعست بجوارحها ومداركها عـن ادراك هذه الحقيقة الفطرية فحاول القرآن الكريم أن يزيل الغشـاوة التى غطـت على هذه الجوارح والأحاسـيس وأن يدفعها الى الرجوع الى الفطـرة المجبولة عليها من الاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتعالى .

" ويضيف الدكتور عبد الحليم محمود وجهة نظر أخرى فى هـذا الموضوع حيث يرى أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يتجـه الى الاستدلال على وجود الله مطلقا كما أنه لم يحتاج الى اللجوء الـى هذا الاستدلال نظرا لانه لم يثار مثل هذا السؤال سواء من الصحابة أم من عامة المسلمين ـ أمامه .

(١) سـورة الزخرف آية " ٨٧ "

أما بالنسبة للقرآن الكريم فهو يرى أنه لم يجعل البرهنة والاستدلال على وجود الله هدف أساس وأنه اذا كان هناك آيات في القرآن الكريم تحمل معنى الاستدلال على وجود الله الا أن المراد منها هو التحدث عن نعم الله الكثيرة على الكون والانسان وعن توضيح قدرة الله تعالى وعظمته في ذلك يقول الدكتور عبد الحليم محمود :

" بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر بالتوحيد ويدعوا الى اسلام الوجه لله سبحانه في كل ما أتى به رسوله صلى الله عليه وسلم .

بل لقد حارب صلى الله عليه وسلم من أجل التوحيد :
(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله) (١)

ومضت السنون والايام ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم ماضي في رسالته " لا اله الا الله) ولا يحيد عن ذلك ولايتنازل . وكان خصومه يقولون في سذاجة وبلاهة: "أجعل الآلهة الهاً واحدا ان هذا الشيء عجاب" ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يتحدث - مستدلا أو مبرهنا - من اثبات وجود الله.

ولم يسأله أحد من الصحابة سواء أكان من أصل عربي أم من

أصل غير عربي عن اثبات وجود الله، ومضى على ذلك العهد المكي، ومضى على ذلك " العهد المدني " رغم ما كان يزخر به من رجال من مختلف البيئات.

أما القرآن فانه استفاض في اثبات التوحيد استفاضة كثيرة، وكان اثبات التوحيد هدفا من الأهداف الكبرى للقرآن.

كان يوجه الانسان الى " التوحيد في العقيدة " و "التوحيد في العبادة " و "والتوحيد في الاستعانة ".

ولكنه لم يجعل " اثبات الالهية " هدفا من أهدافه، وانني لاعلم أننا (ألفنا) أن نقول : ان القرآن يثبت وجود الله عن " طريق دليل العناية " أو عن " طريق دليل الخلق " أو عن طريق دليل الاثر والمؤثر " ونذكر على ذلك الاستشهاد من القرآن الكريم :
وفي القرآن من الآيات التي تتحدث عن العناية والتي تتحدث عن الخلق الشيء الكثير.

ولكن القرآن الكريم — وهذا " ما يعزب " عن بعض الاذهان — لم يأت بذلك " مستدلا ولا مبرهنا ".
وانما أتى بها " متحدثا عن نعم الله الكثيرة " التي يفيضها على الانسان، ومتحدثا عن " قدرة الله وعظمته " وعن أنه منعم رحيم ودود وقاهر غلاب " لا يقف أمام قدرته عقبة " و " لا يسد أبواب "رحمته معترض ".
ان الآيات القرآنية من هذا النوع انما تتحدث عن صفات الله في جلالها وفي جمالها ولم تأت قط " مبرهنة على الاثوبات " أو " رادة على منكر ".

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم متناسقا مع الجو القرآني .

وارتفع القرآن بالعقيدة الالهية الى " جو القداسة النقى "
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا الحرص كله على أن " يستقيم المسلمون على القرآن كما أنزل " .

وأن تكون المبادئ القرآنية وحدها هى التى يصدر عنها المسلمون فى عقائدهم وسلوكهم " (١)

ويؤكد هذا الرأى الدكتور عبد الحليم محمود حيث يقول :
حين بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته بعد نحو ثلاث سنوات من الاسرار بها فانه صلوات الله وسلامه عليه : لم يبدأ باثبات وجود الله وانما بدأ بالبرهنة على صدقه هو وتحدى العرب بصدقه ... ومضى القرن الاول كله ولم يحاول انسان قط : أن يتحدث حديثا عابرا أو مستفيضا عن اثبات وجود الله تعالى ومضى أكثر القرن الثانى والمسألة فيما يتعلق بوجود الله لا توضع موضع البحث : ذلك أن وجود الله انما هو أمر بدهى لا ينبغى أن يتحدث فيه المؤمنون نفيا أو اثباتا ولا سلبا أو ايجابا . ان وجود الله من القضايا المسلمة التى

(١) التوحيد الخالص أو الاسلام والعقل .
د . عبد الحليم محمود . ص ١١٠ : ١١٢ ط حسان بالقاهرة

لا توضح فى الاوساط الدينيه موضع البحث لانها فطريه وان كل شخص يحاول وضعها موضع البحث انما هو شخص فى ايمانه دخل وفى دينه انحراف فما خفى الله قط حتى يحتاج الى أن يثبته البشر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • ومن المعروف أن الدين الاسلامى لم يجئ لاثبات وجود الله وانما جاء لتوحيد الله •

واذا تصفحت القرآن أو التوراه حتى على وضعها الحالى أو الانجيل حتى فى وضعه الراهن : فانك لا تجد ان مسألة وجود الله قد اتخذت فى أى سفر منها مكانه تجعلها هدفا من الاهداف الدينيه أو احتلت مكانا يشعر بأنها من مقاصد الرساله السماويه) (١)

أيضا يتحدث فى هذا المعنى الاستاذ العقاد حيث يقول :
ليس فى التوراه ولا فى الانجيل أكثر من اشارات عارضه الى الملحدين الذين ينكرون وجود الله• لان أنبياء التوراه كانوا يخاطبون أناسا يؤمنون بالله اسرائيل ولا يشكون فى وجوده• فلم يكن همهم أن يقنعوا أحدا من المرتابين أو المنكرين وانما كان همهم تحذير القوم من غضبه وتخويفهم من عاقبه الايمان بغيره وتذكيرهم بوعده ووعيده ، كلما نسوا هذا أو ذاك فى هجرتهم بين الغرباء الذين يعبدون الها غير " يا هواه" اله اسرائيل دون غيرهم من الشعوب •

---

(١) التوحيد الخالص أو الاسلام والعقل د •عبد الحليم محمود صـ ١٤٤ ، ١٤٥ •

نعم دون غيرهم من الشعوب. لأنّ أبناء اسرائيل كانوا يحسبونه لهم ولا يحبون أن يشركهم فيه غيرهم ... وهكذا كانوا يفهمون التأليه في تاريخهم القديم قبل خلوص الايمان بالتوحيد من شوائب الشرك والتعديد فعباد يا هوه لم يكونوا ينكرون وجوده ولا ينكرون وجود غيره. وانما كان هو الههم المفضل على غيره من الآلهه كما كانوا هم الشعب المفضل على الشعوب... لهذا لم يشغل أنبياء التوراه السابقون باثبات وجود "يا هـواه" ... ولما ظهرت المسيحيه لم يكن بينها وبين المذاهب الاسرائيليه خلاف على وجود الله ولا على أنبياء التوراه. .... ولم يشعر الدعاه المسيحيون بالحاجه الى تمحيص القول في الربوبيه... فلم يتكرر البراهين على اثبات وجود الله في اسفار التوراه والانجيل" (١)

---

(١) الله. عباس محمود . العقاد . ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ط الثامنه دار المعارف.

المبحث الثاني

الاستدلال على وجود الله تعالى

لقد اعتمد العلماء في محاولتهم للاستدلال على وجود الله تعالى على ثلاث طرق :

أولا : الاستدلال النقلي أي المعتمد على الآيات القرآنية الكريمة .

ثانيا : الاستدلال العقلي أي المعتمد على التفكير العلمي الانساني .

ثالثا : الاستدلال الوجداني أي المعتمد على الصفاء النفسي والسمو الروحي البشري .

أولا : الاستدلال القرآني :

لقد كان للقرآن الكريم منهجا قويما في الدعوة لمعرفة الله تعالى حيث سلك القرآن مسلك التوجيه الى الاعتبار والتفكير في مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته فكان له سبيلين في هذا التوجيه هو توجيه الانسان الى النظر والتأمل فيما حوله من آيات الابداع الكوني ثم توجيهها الى النظر في النفس البشرية ذاتها واستخلاص عظمة المبدع لهذه الاشياء .

قال تعالى : " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيدا "(١)

(١) سورة فصلت اية "٥٣" .

اذن وجه القرآن الكريم الانسان الى النظر والتأمل فى الابداع الكونى حوله وعبر عن ذلك بالآفاق كما وجهه الى النظر والتأمل فى النفس البشرية وعبر عن ذلك بالانفس.

١ ـ النظر فى الآفاق :

والنظر فى الآفاق بمعنى التأمل فى آيات الابداع فى كل ماحولنا من مخلوقات لله تعالى تشير الى ابداع الخالق لهذه المخلوقات.

قال تعالى : " أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ".(١)

فالآية الكريمة تثير فى العقول فضيلة التأمل والنظر فى السموات بما تشتمل عليه من أفلاك وكواكب كفلك الشمس وفلك القمر اللذان يتعاقبان بنظام محكم بديع فيتبعهما لاختلاف بين الليل والنهار على الارض وهذا خير دليل على وجود الخالق المبدع.

ثم يفصل القرآن الكريم آيات الابداع فى خلق السموات فيقول تعالى : " الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠ ـ ١٩١

على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون"(١)

" فبناء السموات بغير عمد يخالف النواميس الطبيعية وقواعد البناء عند الانسان حيث يعتمد على الاعمده فى رفع أى بناء وهذا يدل على أن الصانع فى هذه الحاله له قدره تختلف عن قدره الانسان وذلك بسبب أنه الله تعالى خالق هذا الانسان.

وقال تعالى : " ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه . ان الله بالناس لرؤوف رحيم"(٢)

" ومعنى هذه الآيه كسابقتها فى اثبات قدره الله تعالى فى حفظ السماء من أن تقع على الارض وجعل الغلاف الجوى بما يحتوى عليه من الاكسجين سبب من أسباب الحياه للكائنات الحيه على الارض ومنها الانسان.

وقال تعالى : " الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ".(٣)

---

(١) سورة الرعد آية "٢"
(٢) سورة الحج آيه "٦٥"
(٣) سورة الملك آيه ٣ـ٤

" فالسموات السبع هى خلق الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد • لذلك لم تشتمل على ضعف •• أو خلل •

وكذلك قال تعالى " ان الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق • انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب "(١)

فكل هذا من خلق الله تعالى ودليل ابداعه ولم يكن الابداع والنظام للسماء والكواكب فقط هى الأدلة على وجود الله تعالى بل أيضا تسخير عناصر هذا الكون لخدمة الانسان • قال تعالى : " والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها • ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون • وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين • ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا • ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون • "(٢)

وقال تعالى : " الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم • فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون "(٣)

(وقال تعالى : " الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى

(١) الصافات الآيات ٣ ــ ٦ (٢) سورة النحل آية ٦٥ــ٦٩
(٣) سورة البقرة آية " ٢٢ " •

فى البحر بأمره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها . ان الانسان لظلوم كفار ".(١)

وأيضا يقول تعالى : " وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ".(٢)

وقال تعالى : " هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ".(٣)

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التى توضح الابداع الالهى والربوبية المطلقة . فقد رأينا من خلال هذه الآيات الكريمة كيف خلق الله تعالى العالم على هذا النظام والترتيب الذى يدل على مدبر حكيم فى تدبيره خلق السموات والأرض على أفضل صورة وسخر هذا الكون كله من سماء وأرض وبحار وحيوان ونبات لخدمة الانسان .

وهناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التى لانستطيع حصرها فى هذا العرض القصير والتى تحمل فى طياتها الأدلة على وجود

(١) سورة ابراهيم آية ٣٢ : ٣٤ (٢) سورة النحل آية ٦٨ : ٦٩
(٣) سورة الملك آية ١٥

الله تعالى بل البراهين المؤكدة على وحدانيته حيث أنها تثبت — من خلال تصوير النظام والابداع والعناية الفائقة بالكون — وجود الخالق المبدع ووحدانيته من حيث تفرده بالربوبية وبالتالي وجوب تفرده بالألوهية .

النظر في الأنفس :

قال تعالى : " وفي أنفسكم . أفلا تبصرون ".(١)

فقد وجه القرآن الكريم الانسان من خلال هذه الآية الكريمة الى التأمل والنظر في نفسه وحياته نظرة تفحص واعتبار ليتضح له من خلال هذا التأمل كيفية خلقه والأطوار التى مر بها والتى لم تحدث من تلقاء ذاتها ليشهد بنفسه أن هذا التكوين الانسانى ناتج عن صانع حكيم مدبر ولم يكن عن طريق الصدفة أو عن غير فاعل أو مؤثر .

قال تعالى : ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ".(٢)

---

(١) سورة الذاريات آية ٢ (٢) سورة المؤمنون آية ١٢ـ١٤

فلقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من الطين وهو الذى يعتبر البذرة الأولى للانسانية ثم أنشأ الانسان من ماء الحياة " أى ماء الرجل والمرأة " والذى منه تكون النطفة واذا تتبعنا سلسلة تكوين الانسان من بدايتها الى خروجه من رحم امه الى الحياة الدنيا تتجلى لنا عظمة الخالق حيث كان هذا الانسان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم صوره فى أفضل هيئة وأحسن صورة فخلق له العين والأذن والأنف واللسان وخلق له العقل الذى به يكون الفكر والقلب الذى به تكون الحياة ٠

فاذا نظر الشخص الى هذه الأحوال والأطوار فى حياة الانسان نظرة تأمل وتدبر تبين له أن هذه الصنعة لا تصدر الا عن صانع حكيم مختار ٠

كما يخبر الحق تبارك وتعالى أنه خلق البشرية جميعا من نفس واحدة هى نفس آدم عليه السلام ٠

قال تعالى : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ٠ ان الله كان عليكم رقيبا ٠ " (١)

" وبالرغم من خلق البشرية جميعا من نفس واحده الا أن دلائل القدره والألوان بين الشعوب الناتجه عن هذه النفس الواحده ٠

قال تعالى : " ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين (٢) وهذا دليل على وجوده تعالى ووحدانيته ٠

---

(١) سورة النساء آية ١ (٢) سورة الروم آية ٢٢

كذلك تكريم الله تعالى للانسان واشعاره بانسانيته حيث قال تعالى : " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا "(١)

وكان مظهر هذا التكريم بتسخير عناصر الكون له وتمكينه من التسلط والسيادة على كل ما فى الكون " ٠

اذن النظر والتأمل فى خلق الانسان وتعقيداته البشرية انما يشير بالضرورة الى خالق مبدع حكيم خبير فى خلقه وصنعته ٠

الأدلة العقلية :

لقد كان للعلماء عدة اتجاهات فى اثبات وجود الله تعالى حيث اتجه المتكلمين الى اثبات وجوده تعالى عن طريق دليل الحدوث واتجه الفلاسفة الى اثبات هذا الوجود عن طريق دليل الامكان ٠

وسوف نتناول كل دليل على حدة :

---

(١) سورة الملك آية ١٥

أولا : دليل الحدوث :

هذا الدليل كما ذكرنا هو دليل المتكلمين حيث وضعوا دليلهم في هيئة قياس منطقي مركب من قضايا قالوا فيه : العالم حادث . وكل حادث لابد له من محدث .. اذن العالم لابد له من محدث .

ولتوضيح القضية الأولى وهي العالم حادث قالوا :

العالم متغير . وكل متغير حادث . اذن العالم حادث

اما أن العالم حادث فلأنه مكون من جواهر وأعراض وكل منها يطرأ عليه التغير والحدوث فالأعراض متغيرة حيث نجد الشيء أبيض ثم يتحول الى الأسود والعكس . والأعراض قائمة بجواهر حادثة فهي توجد بعد أن لم تكن موجودة فهي اذن حاملة لصفة الحدوث وهو الوجود بعد العدم اذن العالم بقسميه موجود بعد عدم وهذا من صفات الحدوث . اذن العالم حادث .

أما القضية الثانية وهي أن كل حادث لابد له من محدث . فهي قضية مسلمة وبديهية فان من رأى بناء شامخا أدرك على الفور أن لهذا البناء بانيا ولأن هذا الحادث الذي وجد بعد أن لم يكن موجودا لا يستطيع أن يوجد نفسه من العدم والا سيكون علة لنفسه وفي ذلك الوقت سيكون متقدما على نفسه متأخرا عليها وهو تناقض والتناقض محال .

اذن العالم لابد له من محدث .

هذا المحدث للعالم لابد أن يكون مغايرا له فلا يكون متصفا بالحدوث وانما

وانما لابد أن يكون قديما لذاته لأنه لو كان حادث لاحتاج الى محدث ويتسلسل الأمر الى ما لانهاية والتسلسل باطل ٠ اذن ثبت وجوب محدث للعالم قديم وهو الله سبحانه وتعالى(١).

دليل الامكان :

استدل الفلاسفة على وجود الله تعالى بهذا الدليل حيث وضعوه أيضا على هيئة قياس منطقى فقالوا :

العالم ممكن وكل ممكن محتاج لمرجح وجوده على عدمه ٠

اذن العالم محتاج لمرجح واجب الوجود ٠

أما القضية الأولى وهى أن العالم ممكن فلأنه موجود بعد عدم وهذا من شأنه أن يجعله ممكن الوجود والعدم أى يتأرجح بين الوجود والعدم اذن العالم ممكن ٠٠ وبما أنه وجد بعد عدم ٠ اذن فهو محتاج لهذا المرجح ، هذا المرجح الموجد للعالم ان كان واجب الوجود فهو المطلوب ويثبت وجود المرجح الواجب الوجود وهو الله تعالى ٠ وان لم يكن هذا المرجح واجب لذاته بل كان ممكن احتاج الى مرجح أيضا واجب لذاته ويتسلسل الأمر والتسلسل باطل ٠ فلابد أن تنتهى السلسلة عند مرجح واجب الوجود لذاته وهو الله تعالى ٠ (٢)

---

(١) إحياء علوم الدين ٠ الامام الغزالى جـ١ ص١١١، ١١٢ بتصرف ٠، الاقتصاد فى الاعتقاد للامام الغزالى ٠ بتصرف

(٢) المواقف فى علم الكلام ٠ القاضى عبد الرحمن بن أحمد الايجى ص ٢٦٦ بتصرف ٠

ثالثا : الأدلة الوجدانية :

كان ما تقدم هو الاستدلال العقلى على وجود الله تعالى وهو يعتمد على المقدمات اليقينية التى تعتمد على العالم المادى المحسوس الواقع تحت دائرة العقل والحس المشاهد للكون وحركاته وتغييراته التى تؤدى بالعقل الى الحكم بضرورة احتياج الحادث الى فاعل محدث والممكن الى فاعل موجد وأن ذلك الفاعل لابد أن يكون مستغنيا فى وجوده عن غيره وأن يكون قديما فى ذاته حكيما خبيرا فى صنعته .

لكن هناك سبيل سلكه المتصوفة فى اثبات وجود الله ألا وهو الاستدلال بالقلب والمشاعر والوجدان حيث يحصل عليها الانسان حين يبتعد عن الشهوات وحين تصفو نفسه وتطهر ذاته وتسمو روحه ولهذا نجد أن القرآن الكريم قد وجه الناس الى التأمل والنظر فى النفس الانسانية فقال تعالى : " وفى أنفسكم أفلا تبصرون "[1] ايذانا بأننا اذا تأملنا فى نفوسنا وقصدنا الى وجداننا فتعهدناه بالتصفية والى قلوبنا فأخذناها بالرياضة الروحية لاستطعنا أن ندخل مجال البصيرة والرؤية القلبية التى يسميها القرآن الكريم " عين اليقين " . وتحصيل هذا النوع من الادراك ممكن وميسور لأى انسان أخذ نفسة بالتجرد عن عالم الحس والتخلص من مشتهياته حتى يخلصها من الأغلال والقيود التى تشوب صفاءها وتشغلها عن ادراك الحقيقة الكامنة وراء عالم الحس والمشاهدة .

وهذا النوع من الايمان يدركه الذين حصل لهم من الاستعداد ما يهيؤهم لتصديق به تصديقا يقينيا يحصل للنفس فى صورة الهام خفى ونور بصيرى يقذفه الله فى قلوب الأخيار من عباده الذين أراد لهم الهداية الى الحق الساطع والنور الوضاء .

المبحث الثالث

٣ـ صفات الله تعالى

بعد أن ثبت لنا بجلاء لا يعتريه ريبة وجود الذات الالهية وأن الله سبحانه وتعالى هو الموجد للكون فلابد وأن يتصف بالصفات العليا صفات الكمال التى هى من مقتضيات كمال ربوبيته وعظمة ألوهيته وأن يتنزه عن جميع صفات النقص التى لا تليق بذاته المقدسة وهذه الصفات قد تفرد بها الخالق فلا يشاركه فيها شريك لأنه وحده الرب والاله فلا رب سواه ولا اله الا الله سبحانه وتعالى ٠

اذن يدور هذا البحث حول الصفات الواجبة لله تعالى اجمالا وتفصيلا ٠٠٠ فما يجب لله تعالى من الصفات على وجه الاجمال كل كمال يليق بذاته المقدسة وكمالاته تعالى لا تتناهى ولا يحيطها علما ولا يحصيها عد ويجب له تعالى تفصيلا ما قام الدليل التفصيلى على وجوبه وهم عشرون صفة ، ويقسم العلماء هذه الصفات عدة أقسام :

١ـ صفات نفسية وهى صفة واحدة هى " الوجود " وهى الحال الثابتة للذات غير معللة بعلة ٠

٢ـ صفات سلبية وهى خمس صفات وهى التى تنفى وتسلب عن الله تعالى معنى لا يليق بذاته تعالى وهى القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية ٠

٣ـ صفات المعانى وهى سبعة صفات وهى القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام النفسى وهى تثبت لله تعالى معنى وجودى زائد على الذات يليق بذاته تعالى ٠

٤ـ صفات معنوية وهى كونه تعالى قادرا وعالما و مريدا ٠٠ الخ الصفات٠ (١)

وسوف نتناول كل صفة على حدة بالتفصيل :

١ـ الصفات النفسية :

وهى صفة واحدة هى صفة "الوجود" ٠

تعريفها :

هى صفة نفسية ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى (٢) زائد عليها ٠

معنى الوجود :

التحقق والثبوت أو هو ما قابل العدم والله تعالى يجب له الوجود (٣) لأن وجوده من ذاته ولذلك لا ينفك عنه أزلا ولا أبدا بخلاف الممكنات فان وجودها خارج عنها ٠

الاستدلال عليها :

قد مر الحديث من قبل فى الاستدلال على وجود الله تعالى بجميع أوجه الاستدلال ولا داعى للاعادة مرة أخرى ٠

---

(١) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير شرح الشيخ اسماعيل ابن موسى بن عثمان بن جود ه الحامدى المالكى الاحمدى الاشعرى ٠ ص ٧ ط الاولى بتصرف
(٢) المرجع السابق ص ١٧
(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد للامام الغزالى ٠ شرح د ٠ محمد رشاد دهمش ص ٥٣

٢ ـ الصفات السلبية:

وهى الصفات التى تنزه الله سبحانه وتعالى وتسلب عنه كل نقص لا يليق بذاته تعالى وهى خمس صفات كما ذكرنا . ووجه انحصارها فى هذه الصفات الخمسة مع أنه تعالى منزه عن كل نقص. أن هذه الصفات الخمسة بمثابة الاصول وما عداها من صفات النقص يرجع اليها ومثال ذلك نفى الشرك لله تعالى ونفى الصاحبة والولد فان ذلك يرجع الى صفة الوحدانية .

أولا : صفة القدم:

تعريفه ـ الدليل العقلى ـ الدليل النقلى

قدم الله تعالى معناه:

عدم أولية الوجود فوجود الله تعالى لا أول له فلم يسبق بعدم وليس لاوله بدايه وقدمه تعالى لذاته لا لعله اقتضت وجوده " .

الدليل العقلى على ثبوت القدم لله تعالى :

لو لم يكن الله قديما لكان حادثا فيحتاج الى محدث ومحدثه الى محدث فيلزم الدور والتسلسل وهما باطلان ".(١)

وايضا نقول : لو لم يكن الله قديما لكان حادثا ولو كان حادثا لكان جائز الوجود لكن ثبت له وجوب الوجود فاستحال كونه جائز الوجود فاستحال كونه حادثا وثبت له القدم .

---

(١) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ١٨

الدليل النقلـى :

قوله تعالى : هو الاول والاخر والظاهر والباطـــن"(١)

ومعنى كونه تعالى أول أنه لا ابتداء لوجوده . وقد روى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا جاء فى آخره "كـــان الله ولم يكن شئ قبله وكان عرشه علـى الماء ثم خـلق السمـوات والارض وكتب فى الذكر كل شـئ".

وينقسم الـقدم الى :

١ ـ قدم زمانى : وهو جود الشئ فى الزمن الممتد فى الازلـــ اللا نهائى .

٢ ـ قدم اضافى : وهو قدم الشئ بالنسبه الى شـئ حادث بعده . وذلك مثل قدم الاب بالنسبه الى الابن .

٣ ـ قدم ذاتى : وهو عدم الاحتياج الى الغير فـى الوجـود وهذا ما نريده . لانه لا يكـون مسبوقا بعدم البته"(٢)

ثانيا : صفـة البقـاء :

تعريفه ـ الدليـل العقلـى ـ الدليل النقلـى

بقاء الله تعالى معناه عدم آخرية الوجود فوجود اللـــــه

---

(١) سورة الحديد آيه ٣

(٢) الاقتصاد فى الاعتقاد للامام الغزالى شرح د . محمد رشـــاد دهمـش ص ٦٢

تعالى لا آخر له فلا يلحقه الفناء أو العدم .

الدليل العقلي على ثبوت صفة البقاء لله :

أنه تعالى لو لم يجب له البقاء لجاز عليه الفناء ولو جاز عليه الفناء لم يكن واجب الوجود . لكن ثبت له وجوب الوجود فاستحال عليه الفناء ووجب له البقاء ... وأيضا نقول : لو لم يجب لله البقاء لجاز عليه الفناء ولو جاز عليه الفناء لكان حادثا لكن ثبت له وجوب القدم فاستحال عليه الحدوث فاستحال عليه الفناء وثبت له البقاء .... وأيضا نقول :

لو لم يجب له البقاء لجاز عليه الفناء ولو جاز عليه الفناء لكان حادثا ولو كان حادثا لاحتاج الى محدث ومحدثه الى محدث فيلزم التسلسل وهو باطل فبطل كونه حادثا فبطل جواز الفناء وثبت وجوب البقاء .(١)

الدليل النقلي :

قوله تعالى : " هو الأول والآخر "(٢)

" وقوله تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ".(٣)

وقوله تعالى : " ويبقى وجهه ربك ذي الجلال والاكرام "(٤)

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للامام الغزالي شرح د . عبد العزيز سيف النصر ط الاولى ص ١٠٤ ، العقيدة الصغرى لسيدي أحمد الدرديري ص ١٩ (٢) سورة الحديد آية ٣

(٣) سورة القصص آية ٨٨ (٤) سورة الرحمن آية ٢٧

وقوله تعالى : " وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده " (١)

ثالثا : صفة المخالفة للحوادث:

معناها : عدم مماثلته تعالى للحوادث فى الذات والصفات والافعال فذاته ليست كذاتهم وصفاته ليست كصفاتهم ولا تشبه أفعاله أفعالهم فليس لله تعالى جوهرا ولا عرضا ولا يوصف بالجسمية وما يلزمها من طول وقصر وحجم ولا يحده تعالى مكان فلا يوصف بالامام ولا بالخلف وكذلك سائر الجهات.

وقد يقول السائل : اذا لم يتصف بكل هذه الصفات فما حقيقة ذاته؟

والجواب : لا يعلم الله الا الله وعقول البشر جميعا قاصرة عن ادراك حقيقة الذات ومن هنا قال العلماء " كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك ".

الدليل العقلى على مخالفته للحوادث:

لو لم يكن الله مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ولو كان مماثلا لها لكان حادثا فيحتاج الى محدث وهكذا فيلزم التسلسل وهو باطل فيبطل كونه حادثا فبطلت المماثلة للحوادث وثبت مخالفته للحوادث.(٢) ومن الممكن الاستدلال بأدلة عقلية أخرى على النمط الذى سبق ذكره فى الصفتين السابقتين.

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٨

(٢) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٢٠ ط الاولى بتصرف

الدليل النقلـــى :

قال تعالى : " ليس كمثله شىء وهو السميع العليم "(١)

وقال تعالى : " لم يكن له كفوا أحـــد " .

النصوص الموهمة للتشبيـــه

عرفنا مما تقدم أن الله تعالى مخالف للحوادث فـــى ذاته وصفاته وأفعاله وما ورد فى الكتاب والسنة مما يخالف ذلك كاثبات الجسمية لله تعالى فيجب صرفه عن ظاهرة الى ما يليق بذاتـــه تعالى . وهذا القدر موضع اتفاق من السلف والخلف فيجب صرفه .

موقف السلف والخلف:

أما الخلاف بينهما فهو فى تطبيق المعنى المراد من النــص . فالسلف يفوضون علم ذلك الى الله . أما الخلف فانهم يقولون بتعيـــن معنى يحمل النص عليه بالقرائـــن . فحاصل مذهب السلف هو أمران :

١ ـ الاخذ بظاهر الآيات وعدم تأويلها خوفا من أن يقولوا فى آيات الله ما لم يكن قصدا لله لذلك فهم يؤمنون بها كما وردت دون تأويل لها ويفوضون علمها الى الله تعالى :

٢ ـ تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث اعتمادا على قوله تعالى " ليس كمثله شىء وهو السميع العليم "

---

(١) سورة الشورى آيه ١١

ومن النصوص الموهمة للجسمية قوله تعالى :

" يد الله فوق أيديهم "

فان ظاهر النص يثبت لله تعالى اليد ومفهومها المتبادر الى الأذهان أنها جسم يتكون من كف وأصابع وقد اتفق العلماء على صرف النص عن ظاهره المتبادر منه الى ما يليق بذاته تعالى ، فان السلف في هذه الآية يوافقون بأن لله يد ولكن ليست كالأيدى فى الحوادث ويفوضون علم حقيقتها الى الله .. أما الخلف فانهم يؤولون اليد فى هذه الآية بالقدرة واذا عرفنا ذلك استطعنا أن نقيس على هذا النص ما عداه من نصوص الجسمية والجهة كقوله تعالى :

" كل شيء هالك الا وجهه " (١)

وقوله تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب " (٢)

" " : " الرحمن على العرش استوى " (٣)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن " الى آخر هذه النصوص .

فقياسا على رأيهم فى النص الأول يتبين أن

رأى السلف : هو التفويض فيقولون لله وجه لا كوجه الحوادث ولا يعلم حقيقته الا هو تعالى وله استواء لا كاستوائنا ولا يعلم حقيقته الا هو وكذلك الحال فى سائر النصوص . لذلك حين سئل الامام مالك عن كيفية الاستواء لله تعالى قال :

---

(١) سورة القصص آية "٨٨"
(٢) سورة فاطر آية "١٠"
(٣) سورة طه آية "٥"

" الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعــــه "
ولذلك نجد ابن تيميه قــد تسمك برأى الامام مالك فأطلق صفــــه
الاستواء علــى الله على حقيقتها ولم يبيـــن كيفها حيث قــال :
ان الكلام فى الصفات فــرع الكلام فى الذات يحتذى ويتبع فيه مثاله
فاذا كان اثبات الذات وجود لا اثبات تكييف فكذلك اثبـــــا ت
الصفات اثبات وجـــود لا اثبات تكييــف "(١)

ويقول ابن تيميه أيضا : من المعلوم أن صفات كل موصـو ف
تناسب ذا ته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الـــذى
ليس كمثله شئ الا ما يناسب المخلوق فقد ضل فــى عقله ودينه "(٢)

وكما كان طريق ابن تيميه فى الصفــات الخبريه كان طريـــق
ابن القيم أيضا فهو تلميذه ومعتنـــق آرائـــه كلهــا حيـــث
كان يدعو الـــى عدم التأويل ويذمه فى غير موضع من كتبه حيـــث
قال : " ويكفى المتأولين كلام اللـــه ورسوله بالتأويلات التى لـــم
يردها ولم يـدل عليها كـلام الله أنهم قــالوا برأيهم علـــى
اللـــه وقدموا آراءهم على نصوص الوحى وجعلوهـــا عيارا علـــى
كـلام الله "(٣) وهذا المنهج الذى سار عليه قد تأثر فيـــه

---

(١) المناظرة فى العقيده الواسطيه . ابن تيميه ص ٤١٦ : ٤١٧
(٢) مجموعه الرسائـل الكبرى . العقيده الحمويه الكبرى لابـــن
تيميه جـ ١ ص ٤٧٤
(٣) اعلام الموقعين جـ ٣ ص ٤٦٧ ابن القيـــم .

بمنهج الصحابه اذ لم يختلفوا فى شئ من أسماء الله وصفاته
فلا غرو أن ينهج نهجهم وهو الحريص على اتباع آثارهم والعوده
بمسائل العقيدة الى ما كان عليه السلف ونبذ آراء الفرق
المتضاربه وتبدو نزعته الى ما كان عليه الصحابه من قوله:
" وقد تنازع الصحابه فى كثير من مسائل الاحكام وهم سادات
المؤمنين وأكمل الامه ايمانا ولكن بحمد الله لم يتنازعوا فى
مسأله واحده من مسائل الاسماء والصفات والافعال بل
كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب والسنه كلمه واحده
من أولهم الى آخرهم لم يسوموها تأويلا ولم يحرفوها على
مواضعها تبديلا ولم يقل أحد منهم : يجب صرفها عن
حقائقها وحملها على مجازها بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها
بالايمان والتعظيم "(١)

ويساعد فى توضيح موقف السلف قول ابن خلدون "القرآن
ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلاله من غير
تأويل فى آيات كثيره وهى سلوب كلها وصريحه فى بابها فوجب
الايمان بها ووقع فى كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابه
والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت فى القرآن آى أخرى
قليله توهم التشبيه مره فى الذات وأخرى فى الصفات . فأما
السلف فغلبوا أدله التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها وعلموا

(١) اعلام الموقعين جـ ١ ابن القيم ص ٥٥

استحالة التشبيه وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل وهذا معنى قول الكثير منهم : اقرؤها كما جاءت: اى آمنوا بأنها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له"(١)

وكذلك قال المقريزى فى ذلك فى خططه :

(أثبتوا رضى الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شئ من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت)(٢)

وأيضا قال الصابونى فى موقف السلف هذا " يصفون الله بالصفات التى نطق بها الوحى أو شهد بها الرسول دون تشبيه فيقولون : خلق آدم بيده لقوله : " لما خلقت بيدى " ولا يحرفون الكلام عن مواضعه فلا يحملون اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة الجهمية ولا يشبهونها بأيدى المخلوقين كما ذهب المشبهة وهم يتبعون قوله تعالى : " ليس كمثله شئ" وكذا فى جميع الصفات الثابتة من سمع وبصر وعين ووجه وسخط وفرح ويقظه وضحك وغيرها يجرون على الظاهر ويطلون علمه الى الله تعالى ويقترون بأن تأويله لا يعلمه الا الله

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٤٠٥ ط الاولى
(٢) الخطط للمقريزى جـ ٤ ص ١٨١

كما أخبر الله عن الراسخين فى العلم : " والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ".(١)

أما رأى الخلف:
فهو التأويل فهم يؤولون الوجه بالذات وصعود الكلم الطيب اليه بأنه يقبله ويرتضيه والاستواء على العرش بالاستيلاء والملك ويؤولون قوله :

" وجاء ربك والملك صفا صفا ".(٢) بمعنى وجاء أمر ربه.

فبالرغم من أن المعتزله ينزهون الله عن مشابهة الحوادث حيث يؤمنون بقوله تعالى " ليس كمثله شئ " الا أنهم يؤولون الآيات المتشابهه تأويلا يتفق والتنزيه ففى قوله تعالى :

" وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ".(٣) يقولون : معنى قول اليهود : " يد الله مغلولة " وصفه بالبخل وقوله : " بل يداه مبسوطتان " تعبير مجازى يدل على اثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخى بماله من نفسه أن يعطى بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك ".(٤)

---

(١) عقيدة السلف لأبى عثمان الصابونى ضمن مجموعة ٨١٣ توحيد بدار الكتب المصرية.

(٢) سورة الفجر آية ٢٢ (٣) سورة المائدة آية ٦٤

(٤) الكشاف للزمخشرى ج ١ ص ٣٥١

وقالوا في قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى "(١) لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا : فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير ألبته وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الامر "(٢)

ويقولون في قوله تعالى : "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام "(٣)

وجه الله ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان "(٤)

ومنشأ الخلاف بين السلف والخلف:

لقد جاء الخلاف بين الفريقين من مفهومهما لقوله تعالى: " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الا لباب "(٥)

---

(١) سورة طه آيه ٥ (٢) الكشاف ج ٢ ص ٤٢٧
(٣) سورة الرحمن آيه ٢٧ (٤) الكشاف ج ٢ ص ٣٣١
(٥) سورة آل عمران آيه ٧

فالسلف يقفون عند قوله تعالى " وما يعلم تأويله الا اللـــه ويعتبرون الواو في قوله "والراسخون في العلم" استئنافيه ولا تتصل بما قبلها وما بعدها كلام جديد مستأنف ولذلك فهم يفوضون علـــم المتشابه الى الله وحده .

أما الخلف : فانهم لا يقفون على ما وقف عليه السلف بـــل يقولون ان الواو في قوله " والراسخون في العلم " واو عطف فعطفت الراسخون في العلم على لفظ الجلاله . . . وبذلك الذى يعلم تأويـل المتشابه الله والراسخون في العلم ولهذا ذهبوا الى التأويل .

الرأى الارجح : في الحقيقه نحن نـــرى أن رأى السلف أسلم ولهذا كان الأرجح لاحتمال أن يقع الانسان الذى يذهب الـــى التأويل في معنى لا يريده اللـــه تعالى من النص .

فالتأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول في صفات الله تعالـــى بالظن غير جائز لذلك فنحن نرى أن من الواجب علينا تجـــاه هذه النصوص أن نؤمن بها كما وردت لأنها ثابته فـي كتـــاب اللـــه وفي سنه رسوله فلا نحاول تأويلها أو تحديـــد معاني لهـــا لاننا نجهل ما يريده اللـــه منها .

هذا بالاضافه الى وجوب ايماننا بالتنزيه المطلق للـــه تعالـى وأنه لا يشبه خلقه لا فـي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

وهذا أسلم وأبعد عن الوقوع في الخطأ مع الله تعالـــى .

رابعا : صفة القيام بالنفس :

معناها عدم احتياج الله تعالى الى ذات يقوم بها أو الى محل يقوم به أو الى موجد يوجده ٠

الدليل العقلى على عدم احتياجه الى ذات يقوم بها :

أنه تعالى لو احتاج الى ذات يقوم بها لكان صفة ولو كان صفة لاستحال اتصافة بصفات المعانى لأن الصفة لا تقوم بالصفة مثلها وانما تقوم بالذات لكن ثبت اتصافة بصفات المعانى كالقدرة والارادة فاستحال أن يكون صفة وثبت كونه ذاتا فلا يحتاج الى ذات يقوم بها ٠

الدليل العقلى على عدم احتياجه الى محل يقوم به

أنه تعالى لو احتاج الى محل يقوم به لكان محدودا محصورا فى هذا المحل والله تعالى لا يحده المكان ولا الزمان فهو مجرد عن المكان والزمان فلا يحتاج الى محل يكون فيه ٠

الدليل العقلى على عدم احتياجه الى موجد يوجده :

أنه تعالى لو احتاج الى موجد يوجده لكان حادثا لكن ثبت له وجوب الوجود والقدم فانتفى كونه حادثا فانتفى احتاجه الى موجد يوجده ٠ (١)

الدليل النقلى : قوله تعالى :

" يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد " (٢)

---

(١) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٢٠ بتصرف
(٢) سورة فاطر آيه ١٦

خامســا : الوحدانيـــة :

من الصفات الواجبة لله تعالى الوحدانية وهى من الصفات السلبية ومعناها عدم التعدد وهذا يشــمل :

١ــ عدم التعدد فى الذات
٢ــ عدم التعدد فى الصفات
٣ــ عدم التعدد فى الأفعال

وكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة يكون نفى التعدد فيه نفيا للكـــم الذى هـــو الكثـــرة ، ولتوضيح ذلك نقول :

الكم المتصل بالذات يكون بتركيبها من أجــزاء .
والكم المنفصل فى الذات يكون بوجود ذات أخرى تشبهها .
والكم المتصل فى الصفات يكون بوجود صفتين أو أكثر من جنس واحد .
والكم المنفصل فى الصفات يكون بوجود ذات لها صفة تشـبه صـفــــات اللـــه تعالى .
والكم المتصل فى الأفعال يكون بوجود فعلين متشابهين أو أكثر لله .
والكم المنفصل فى الأفعال يكون بوجود ذات لها فعل يشبه فعل الله .

والمطلوب لتحقق الوحدة المطلقة الكاملة لله نفى الكم المتصل والمنفصل فى الذات .. ونفى الكم المتصل والمنفصل فى الصفات .. ونفى الكم المنفصل فقط فى الأفعال .(١)

دليل نفى الكم المتصل فى الذات :

ان ذات الله تعالى ليست مركبة من أجزاء ولو كانت مركبة من أجـــزاء لكان محتاجا الى أجزاءه والاحتياج من علامات الحدوث ولكن ثبت له وجــوب

---

(١) العقيدة الصغرى . لسيدى أحمد الدرديرى ص ٢١ بتصــرف.

القدم كما سنرى فيما بعد فانتفى حدوثة وبالتالى انتفى الاحتياج فانتفى التركيب من أجزاء وثبتت وحدة الذات ٠

دليل نفى الكم المنفصل فى الذات :

لو وجد الهين متصفين بالوجود وعموم القدرة والارادة لما وجد العالم ٠ لكن العالم موجود بدليل المشاهدة فبطل وجود الهين وثبت وجود اله واحد وهو الله ٠٠٠ وتوضيح هذه المسألة :

أنه لو وجد الهان فاما أن يتفقا واما أن يختلفا فعلى فرض اختلافهما : اما أن ينفذ مرادهما معا كأن يريد أحدهما وجود العالم والآخر يريد عدم وجوده ، فان نفذ مرادهما معا لزم الجمع بين النقيضين وهذا باطل — وان لم ينفذ مرادهما معا لزم عجزهما فلا يكون أى منهما اله ، وان نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان الذى نفذ مراده اله وثبت عجز الآخر ٠ ومتى ثبت العجز لأحدهما يثبت للآخر لأنهما متماثلان وما يثبت لأحدهما يثبت للآخر (١)

وعلى فرض اتفاقهما : اما أن يتفقا على يجاد العالم معا فى وقت واحد فيلزم من ذلك اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهذا باطل ٠٠ واما أن يوجده الأول ثم يوجده الثانى وذلك تحصيل للحاصل وهو باطل أيضا ، اذ لا معنى لوجوده ثانية وهو موجود بالفعل ٠٠ واما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل منهما محتاجا الى الآخر فثبت عجزهما فلا يكون أى منهما اله ٠

اذن محال أن يوجد الهان ٠

أما دليل نفى التعدد فى الصفات :

فنقول فى نفى الكم المتصل : لو كان لله صفتان من جنس واحد كقدرتين مثلا ٠٠ فاما أن تكون احداهما كافية فى الخلق والايجاد فيكون

---

(١) المواقف فى علم الكلام للامام عبد الرحمن بن أحمد الايجى ص ٢٧٩ بتصرف ٠

وجود الثانية عبثا لانها ة زائدة والعبث مستحيل على الله تعالى ..
وأما أن تكون أحداهما مكملة للاخرى فيلحق النقص بالصفات والنقص مستحيل على الله تعالى :

نفى الكم والمنفصل فى الصفات :

نقول : لوكان لغير الله صفة تشبه صفة الله تعالى لكان الله مماثلا للحوادث . لكن ثبتت مخالفته للحوادث . اذن ليس لغير صفة تشبه صفته تعالى .

أما نفى الكم فى الافعال:

فيكون نفى للكم المنفصل فقط وليس الكم المتصل لانه يجوز أن يفعل فعلين متشابهين لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء وما يريد .

نفى الكم المنفصل فى الافعال :

فدليله كدليل الكم المنفصل فى الصفات فلو كان لغير الله فعل يشبه فعل الله لكان الله مماثلا للحوادث . ولكن ثبتت مخالفته للحوادث اذ ليس لغيره فعل يشبه فعله اذن ليس هناك ذات لها فعل يشبه فعل الله تعالى .

الاستدلال القرآنى على الوحدانية :

لقد تحدثنا فيما سبق عن قضيه وجود الله تعالى ووضحنا كيف أنها فطريه فى النفس الانسانيه مما دفع القرآن الكريم الى

العدول عن الاهتمام بها والوقوف أمامها لانه اعتبرها بديهيه وسلمه من الجميع .

لذلك كانت قضيه التوحيد هى التى تعرض لها القرآن الكريم وأفرد لها مساحة عريضه فى التوضيح والشرح والتحليل حيث اعتبرها من أهم القضايا العقدية .

والسورة التى نتجه اليها مباشرة لكى تعبر لنا عن الوحدانية وعدم الشرك بالله هى سورة الاخلاص فهى تقول : " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " .

حيث أنها السورة التى وضع بها القرآن الكريم الأسس والركائز والاصول فى التوحيد والتنزيه للمولى عزوجل فى ايجازه شديد .

وهناك الكثير من الآيات الكريمه التى تتحدث فى هذه القضية بعده طرق منها طريق التقرير لوحدانيه الله كقوله تعالى : " والهكم اله واحد "(١)
وايضا طريق النفى والاستثناء كقوله تعالى : " الله لا اله الا هو الحى القيوم "(٢) .

---

(١) البقرة آيه ١٦٣
(٢) آل عمران آية ٢

كذلك استعمل القرآن طريق رفض الشرك وتحريمه كقوله تعالى :
" قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون " (١)

ثم يقترن بهذا توضيح منزلة المشرك وجزاؤه قال تعالى :
" ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق " (٢)

وقال أيضا (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) (٣)

كذلك هناك طريق الاستفهام والاستنكار كقوله تعالى :
" يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ؟ لا اله الا هو فأنى تؤفكون " (٤)

ثم هناك طريق الاستدلال العقلى القرآنى وهو منطق سهل بسيط بعيد عن التعقيد والغموض قال تعالى :
" ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون " (٥) وقال تعالى : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون " (٦)

(١) الاعراف آية ٣٣ (٢) الحج آية ٣١
(٣) المائدة آية ٧٢ (٤) فاطر آيه ٣
(٥) المؤمنون آية ٩١ (٦) الانبياء آيه ٢٢

وقال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا الــــه الا أنا فاعبــدون " (١)

فهذه الآيات تعرض لوحدة الألوهية وتفند اعتقاد المشركين الوثنييــن فى اتخاذهم آلهة ســوى اللــــه ٠

وهى فى هذا التفنيد تسـلك عدة سبل منها :

١) السبيل الأول :

أن تعدد الآلهة فى الوجود يؤدى الى فساد الكون كله فالتعــدد يفضى حتما الى النزاع والشقاق ونظام الكون على ما هو عليه الآن مـــن انســجام يمنع أن يكون وراءه انشقاق وبالتالى يمنع أن يكون وراءه أكثــر من الـه ٠ فنظام الكون دليل على الوحدة فى الألوهية ومن ثم فان اللــــه وحده رب العرش ومالك الكون ويتنزه تماما عما يدعيه هؤلاء المشركون ٠

٢) السبيل الثانى :

أن الكتب السماوية كلها وأخصها القرآن والانجيل والتوراة توضــح أن الرسالة الالهية فى كل العصور هى رسالة وحدة الألوهية وأن كل رسـول أتى الى قومه كانت دعوته التوحيد وعبادة الله وحده ٠

فقد قال تعالى : " فى كتابه الكريم : ولقد بعثنا فى كل أمه ر رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " (٢)

وقال تعالى " والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكــم من اله غيره أفلا تتقــون " (٣)

(١) سورة الانبياء آية ٢٥ (٢) سورة النحل آية ٣٦
(٣) سورة الأعراف آية ٦٥

وقال تعالى " والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره "(١)

وقال تعالى " والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره "(٢)

وقال تعالى : " وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون "(٣)

والخلاصة : أن اعتقاد المشركين في أن هناك شركاء لله لا يؤيده الواقع فنظام الكون كله يأبى أن يكون هناك تعدد في الألوهية كذلك نصوص الكتب جميعا لا تؤيد اعتقادهم في الشرك.

فالواقع والنص معا ضد ما يعتقدون.
ومن الأدلة التي تؤيد وتعضد ذلك قوله تعالى :
" قل لو كان معه آلهة - كما يقولون - اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا "(٤)

---

(١) سورة الاعراف آيه ٧٣ (٢) سورة الاعراف آيه ٨٥
(٣) سورة العنكبوت آيه ١٦ (٤) سورة الاسراء آيه ٤٢: ٤٣

أى أنه لو كانت هناك آلهة شركاء لله لاختلفوا فيما بينهم حتما ولأدى اختلافهم بالتالى الى الاستعانة بصاحب القوة والعرش من بينهم والاستعانة بالغير تنطوى على الحاجة اليه والحاجة دليل على عدم تمام القدرة لمن له حاجة والاله لابد أن يكون تام القدرة وكاملا فى صفاته كلها . فادعاء آلهة مع الله ادعاء واضح الكذب والتهافت .

من أجل ذلك قال الله تعالى :

" ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما " (١)

وقال تعالى : " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق " (٢)

وهذا تشبيه لوضع المشرك فى الدنيا بذلك الذى يسقط من مرتفع عال فلا يجد له أثر على الأرض فهو اذ يشعر فى وقت أنه على قمة مأمونة بسبب ماله أو أولاده وعصبيته أو بسبب جاهه اذا به يهوى الى غير قرار .

وحدة الألوهية ودعوى الذرية

ووحدة الألوهية تقتضى أن لا يكون لله نسلا وذرية ولا أن يكون لله تعالى من نسل أو ذرية لأن ذلك سيخرجه عن اطار الوحدة الى مماثلة

---

(١) سورة النساء آيه ٤٨

(٢) سورة الحج آية "٣١"

البشــر والخلق من حيث الحاجة الى النسل والذرية للتقوي بهم والاستعانة بهم وهذا باطل وقد نفى القرآن الكريم ذلك في مواضع عديدة بالبرهـــان العقلي حيث قال تعالى :

" وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل لــه قانتــون " (١)

أي أن الله ليس في حاجة الى اتخاذ الولد للاستعانة به لأنه يملــك كل ما في السموات والأرض وهي خاضعة كلها لمنصاعة لأوامره فما حاجتـه الى الأولاد مثل ذلك قوله تعالى :

" قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما في السموات وما في الأرض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون " (٢)

فالله تعالى غني عن النسل والذرية لأن سيطرته تعالى تامة علـى ملكه الذي يشمل السموات والأرض ، وقال تعالى :

" وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منـه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا . لقـد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا " (٣)

فتصور هذه الآيات تأثر عناصر الكون من هول الفرية التي زعمهــا أصحابها باطلا فما ينبغي لله اتخاذ الولد لأن الصلة بينه وبين خلقـه هي صلة المعبود بالعابد وهي لاتستقيم مع البنوة فالله تعالى ليس فـي حاجة لأية معونة من أحد بحيث يضطر لاتخاذ الأولاد والذرية كمـا

---

(١) سورة البقرة آية "١١٦" (٢) سورة يونس آية "٦٨"
(٣) سورة مريم آية ٨٨ـ٩٠

هو شأن الانسان فى حياته الدنيا . فالله تعالى منزه عن ذلك كله بحكم وحدة ألوهيته. عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم ينبغ له أن يكذبنى وشتمنى ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمنى".

فأما تكذيبه اياى : فقوله لن يعيدنى كما بدأنى . وليس أول خلقه بأهون على من اعادته.

وأما شتمه اياى فقوله " اتخذ الله ولدا " وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد "(١)

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى ص ٣٢

(٢) سورة الاخلاص .

هو شأن الانسان في حياته الدنيا . فالله تعالى منزه عن ذلك كله بحكم وحدة ألوهيته . ودعوى اتخاذ الله للاولاد والذرية هي دعوى قديمه أقدم على القول بها بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى ثم المشركين من العرب . " ويوضح لنا الامام ابن تيميه موقف القرآن من هذه القضيه فيقول : " وكذلك ما استعمله سبحانه في تنزيهه وتقديسه عما أضافوه اليه من الولاده سواء سموها حسيه أو عقليه كما تزعمه النصارى من تولد الكلمة التي جعلوها جوهر الابن منه وكما تزعمه الفلاسفه الصابئون من تولد العقول العشره والنفوس الفلكيه التسعه التي هم مضطربون فيها : هل هي جواهر أو أعراض ؟ وقد يجعلون العقول بمنزله الذكور والنفوس بمنزله الاناث ...

وذلك شبيه بقول مشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات قال تعالى : "وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون" (١) وقال تعالى : " ألا انهم من افكهم ليقولون . ولد الله وانهم لكاذبون " (٢)

وكانوا يقولون : الملائكه بنات الله كما يزعم هؤلاء أن العقول أو العقول أو النفوس هي الملائكه وهي متولده عن الله قال

---

(١) سورة الانعام آيه ١٠٠

(٢) سورة الصافات الآيات ١٥١، ١٥٢ .

تعالى : " ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون . للذين لا يؤمنون بالآخره مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم " الى قوله " ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون "(١)

وقال تعالى : أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين . واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم . أو من ينشأ فى الحليه وهو فى الخصام غير مبين . وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون "(٢)

وقال تعالى " أفرأيتم اللات والعزى ومناه الثالثه الاخرى . ألكم الذكر وله الانثى . تلك اذا قسمه ضيزى "(٣) أى جائزه وغير ذلك فى القرآن .

فبين سبحانه أن الرب الخالق أولى بأن ينزه عن الامور الناقصه منكم فكيف تجعلون له ما تكرهون أن يكون لكم وتستحيون

---

(١) سورة النحل الآيات ٥٧ـ٦٢
(٢) سورة الزخرف الآيات ١٦ ـ ١٩
(٣) سورة النجم الآيات ١٩ ـ ٢٢

اضافتـه اليكم مع أن ذلك واقع لا محاله ولا تنزهونه عـن ذلـك وتنفونـه عن وهو أحق بنفي المكروهات المنقصات منكم ؟ "(١)

صفـات المعانـي

هي صفات وجوديه قائمه بذات الله تعالى زائـدة على الذات وهي القدره والاراده والعلم والحياه والسمع والبصـر والكلام .

موقف العلماء من هذه الصفات :

موقف المعـتزله :

اذا نظرنا الى المعتزله نجد أنهم قد ذهبوا الى نفيها عـن الله تعالى ويذكرا الاستاذ أحمد أمين قولهم حيث قالوا : " اللـه حـي عالم قادر بذاته لا بعلم وقدره وحياه زائـده علـى ذاته لانه لو كان عالما بعلم زائد على ذاته وحيا بحياه زائده على ذاته كما هو الحال في الانسان للزم أن يكون هنـاك صفـه وموصوف وهذه حال الاجسام واللـه منزله عن الجسميه ولو قلنـا أن كل صفه قائمـه بنفسها لتعددت القدماء وبعباره أوضـح

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه تحقيق د . محمـد رشاد سالم ج ١ ص ٣٥ ، ٣٦ .

لتعددت الآلهه "(١)

وقال الشهرستاني في كتابه (فالذي يعم طائفه المعتزله من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمه اصلا فقالوا " هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدره هي صفات قديمه ومعاني قائمه به لانه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الالهيه ... واتفقوا على أن الاراده والسمع والبصر ليست معاني قائمه بذاته")(٢)

ويشرح الدكتور صالح موسى شرف رأي المعتزله فيقول : يرى المعتزله أن الصفات ليست زائده على الذات الا أنها أحوال واضافات لا ترقى الى الوجود ولا تصل الى العدم بل هي واسطه بين الوجود والمعدوم واستثنوا من ذلك صفتين هما الاراده والكلام حيث قالوا بزيادتها على الذات وان كانتا حادثتين لاتقومان بذاته تعالى لأن الحادث لا يقوم بالقديم وانما الكلام فهو قائم بجسم صلب كما حدث في تكليم الله لموسى فانه كلمه بمعنى أنه خلق الكلام في شجره وسمع منها موسى كلام الله لانها حادثه

---

(١) ضحى الاسلام أحمد أمين ج ٣ ص ٢٩

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ٤٤ ، ٤٥ ن موئسسه الحلبي وشركاه .

والحادث لا يقوم بالقديم والاراده حادثه ولا تقوم بالحادث لانها تسبقه والسابق لا يقوم باللاحق"(١)

هذا عن موقف المعتزله تجاه صفات الكمال ولننظر بعد ذلك في موقف الاشاعره وأهل السنه منها :

موقف الاشاعره:

لقد أثبت الاشاعره صفات الكمال لله تعالى ويقول الايجي " ذهب الاشاعره الى أن له صفات زائده فهو عالم بعلم ، قادر بقدره ، مريد باراده "(٢) ويذكر الشهرستاني موقف الاشعري فيقول : " قال أبو الحسن : الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدره حي بحياه قريد باراده متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وهذه صفات أزليه قائمه بذاته لا يقال هي هو ولا غيره ولا لا هو ولا لا غير والدليل على أنه متكلم بكلام قديم ومريد باراده قديمه أنه تعالى ملك والملك من له الامر والنهي فهو آمر ناه فلا يخلو اما أن يكون أمرا بأمر قديم أو بأمر محدث فان كان محدثا فلا يخلو اما أن يحدثه في ذاته لانه يؤدي الى أن يكون محلا للحوادث وذلك محال ويستحيل أن يكون في محل لانه يوجب أن يكون المحل به موصوفا ويستحيل أن يحدثه

(١) بتلخيص من كتاب تيسير الاقتصاد في الاقتصاد . ج٢ للدكتور صالح موسى شرف . ط الرابعه ص ٦٥ ٦

(٢) المواقف للايجي ص ٢٧٩ بيروت .

لا فى محل لأن ذلك غير معقول، فتعين أنه قديم قائم بـــــه صفــه له وكذلك التقسيم فى الاراده والسمع والبصـــر.(١)

اذن فالاشعرى يثبت صفات المعانى لله تعالى ويـــرى أنها قائمه بذاته تعالــــى وأزليه لا حادثه.

كما يذهب الامام الباقلانى الى اثبات صفات الكمـــال للـــه تعالى فنراه يتصورا سواء لا يرد فى ذلك ثم يرد عليه فيقـــول " فان قال قائل : ولم قلتم ان للقديم تعالى حيـاه وعلمـا وقدره وسمعا وبصرا وكلاما واراده ؟ قيل له : من قبل أن الحى العالم القادر منا انما كان حيا عالما قادرا متكلما مريدا مـــن أجـل أن له حيـاه وعلما وقدره وكلاما وسمعا وبصـرا واراده وأن هذا فائده وصفه بأنه حـــى عالم قادر مريد . يدل على ذلـــك أن الحى منا لا يجوز أن يكون حيا عالما قادرا مريدا مع عـــدم الحيـاه والعلم والقدره ولا توجد به هذه الصفات الا وجـــب بوجودها به أن يكون حيا عالما قادرا فوجب أنها علة فـــى كونـــه كذلك كما وجب أن تكون علـــه كون الفاعل فاعـــل والمريـــد مريد وجود فعله وارادته التى يجب كونــه فاعلا مريدا لوجودها وغير فاعل مريد بعدمها فوجب أن يكون البارى سبحانه ذا حياه وعلم وقدره واراده وكلام وسمع وبصر وأنـــــه

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ صـــ ١٢٢

لو لم يكن له شيء من هذه الصفات لم يكن حيا ولا عالما ولا قادرا ولا مريدا لأن الحكم العقلي الواجب عن علة لا يجوز حصوله لبعض من هو له مع عدم العلة الموجبة له ولا لأجل شيء يخالفها لأن ذلك يخرجها عن أن تكون علة الحكم .(١)

وأيضا هناك استدلال آخر للامام الباقلاني على وجود صفات الكمال لله تعالى حيث يقول : ومما يدل أيضا على اثبات علم الله تعالى وقدرته ما ظهر من أفعاله الدالة على كونه عالما قادرا وأنه مفارق للجاهل العاجز . وقد ثبت أن الفعل الدال على كون الفاعل عالما قادرا لا بد له من تعلق بمدلول وأن مدلوله لا يجوز أن يكون نفس الفاعل ووجوده ولا صفة ترجع الى نفسه من حيث ثبت أن معنى وصفه بأنه عالم قادر زائد على وصفه بأنه شيء موجود وأن الوصف له بأنه عالم قادر قد ينتفي عنه مع وجود نفسه وكونه شيئا موجودا فوجب اختلاف معنى هذه الأوصاف .

وكذلك لا يجوز أن تكون دلالة الفعل على أن الفاعل عالم قادر دلالة على صفة ترجع الى نفسه لأمرين :
أحدهما أن ذلك لو كان كذلك لوجب ألا توجد نفس العالم القادر الا عالمة قادرة وألا ينتفي عنه هذان الوصفان

---

(١) التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة للامام أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني ص ١٥٢ .

الا بانتفاء نفسه وبطلانها .... فلم يجز لذلك أن تكون دلالة الفعل على أن الفاعل عالم قادر دلاله على صفه ترجع الى نفسه .

والامر الآخر أن ذلك لو كان كذلك لوجب أن تكون نفس العالم علما ... ولما استحال أن تكون نفس العالم القادر القديم والمحدث علما استحال أن تكون دلاله الفعل على أنه عالم دلاله على نفسه ووجوده أو على صفه ترجع الى نفسه وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون مدلول الفعل ومتعلقه هو العلم والقدره....)(١)

ويشرح الدكتور صالح موسى شرف موقف أهل السنه فيقول يرى أهل السنه أن الصفات الوجوديه التي تسمى بصفات الذات هي زائده على الذات وليست عينا لها فالعلم والقدره ـ الى آخر الصفات ـ أمر زائد على الذات وكما أنها ليست عينا فهي ليست منفكه عن الذات لأنها قديمه بقدم الذات.(٢)

وبذلك يثبت أن هناك صفات موجوده زائده على الذات عنها تصدر الافعال لله تعالى هذا عن موقف الاشاعره ثم لننظر في موقف السلف من هذا الموضوع.

---

(١) المرجع السابق ص١٥٣

(٢) بتصرف. كتاب تيسير الاقتصاد في الاعتقاد . د . صالح موسى شرف. جـ ٢ ص ٥ ط الرابعة.

موقف السلف:

اذا أردنا أن نتحدث عن موقف السلف من هذه القضيه فلنعرض لرأى كل من الامام ابن تيميه والامام ابن قيم الجوزيه لمتابعتهما لطريق السلف الصالح ومحاكاتهما لمنهج السلف من حيث الاعتماد على الكتاب الكريم والسنه المطهره وقد جعلاهما مقياسا لكل ما يقبل أو يرفض من الاقوال فما وافق الكتاب الكريم والسنه قالا به ونبها عليه وما خالفهما شددا القول فى الانكار عليه . فالامام ابن تيميه يرى أن السلف يصف الله سبحانه وتعالى بكل ما وصف به نفسه فى كتابه الكريم فانه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله فى محكم آياته كقوله تعالى "الله لا اله الا هو الحى القيوم"(١) وقوله سبحانه " وهو العليم الحكيم . وهو السميع البصير . وهو العليم القدير . وهو العزيز الحكيم ". الى امثال هذه الآيات الثابته ..

فالقرآن فى عامه موارد الصفات على اثبات ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وليس فى آيه واحده منها على النفى بل عامه النصوص جاءت فى ذلك على الاثبات لكنه اثبات بلا تمثيل لانه سبحانه لا كفوا له ولا سمى له وليس كمثله شئ فهو سبحانه سميع بصير حى مريد "(٢)

---

(١) سورة البقرة آيه ٢٥٥

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيميه ٥ ـ ٤٠

والكمال والنقص هما قطبا الرحى فى حديث ابن تيميه
عن الصفات نفيا واثباتا فكل ما تضمن كمالا لا نقص فيه فالله
أحق به وكل ما كان نقصا من صفات المخلوقين أو كان كمالا
متضمنا لنقص بوجه من الوجوه فالله أولى بأن ينزه عنه.

فمعنى الكمال والنقص يجب أن يؤخذ من الشرع حتى لا
نصفه سبحانه بما قد يظن كمال فى حقه بالمقايسه على المخلوقين
وهو ليس كمالا بالنسبه له سبحانه وتعالى :
فقياس الاولى هو طريق اثبات الكمال لله تعالى فما كان كمالا لغيره
فهو أحق به منه لانه له المثل الاعلى فى كل كمال لا نقص فيه.

وهذه طريقه سديده فى التنزيه بنى عليها ابن تيميه مذهبه
فى الصفات ثم لا يكفى فى الاثبات مجرد نفى التشبيه لانه لو
كان ذلك كافيا لجاز أن يوصف سبحانه بما لا يكاد يحصى من
صفات المحدثين مع نفى التشبيه كما وصفه بعضهم بالحزن
والبكاء فالاقتصار على ما قد يظن كمالا مع نفى المماثله ليس
كافيا فى التنزيه بل لا بد من الاعتقاد فى ذلك على ضابط ما نسع
فما سكت عنه الشرع نفيا واثباتا ولم يكن فى العقل ما يثبته
ولا ينفيه سكتنا عنه ونثبت ما علمنا ثبوته من ذلك وننفى ما علمنا
نفيه (١)

---

(١) الرساله التدمريه لابن تيميه ص ٨٥

اذن فابن تيمية كان منهجه واضحا في ذلك لانه رأى أن تلقى معنى الكمال والنقص بالنسبة لله لا يؤخذ الا من السمع لانه سبحانه أعلم بنفسه وما يجب له ولنأتي ببعض الاستدلالات التي استدل بها ابن تيميه على اتصاف الله تعالى بصفات الكمال ومنها صفتي السمع والبصر مثلا :

يقول ابن تيميه : أولا : أن السمع والبصر من صفات الكمال فان المتصف بهما أكمل من الفاقد لهما وهذا معلوم بضرورة العقل واذا كانتا صفتي كمال فلو لم يتصف الله سبحانه بهما لكان ناقصا والله منزه عن كل نقص وكل كمال محض لا نقص فيه فهو جائز عليه وما كان جائزا من صفات الكمال فهو ثابت له فانه لو لم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غير نفسه فيكون مفتقرا الى غيره في ثبوت الكمال له وهذا ممتنع .

وأيضا فانه لو لم يتصف بهذا الكمال لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه ومن المعلوم في بدايه العقول أن المخلوق لا يكون أكمل من الخالق ... فاذا علم إنتفاء التساوى بين الكامل والناقص وعلم أن الرب أكمل من خلقه وجب أن يكون أكمل منهم وأحق منهم لكل كمال بطريق الاولى والأحرى (١)

---

(١) الفتاوى الكبرى – شرح العقيدة الاصفهانيه لابن تيميه ص ٧٥ – ٧٦

ثانيا : ان نفي هذه الصفات نقائص فمن ينتفي عنه هذه الصفات لا يستطيع أن يحدث عنه شيء أو يخلق شيء ولا يجوز أن يعبد أو يدعى كما قال الخليل " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا "(١) فدل ذلك على أن من يسمع ويبصر أكمل من فاقد السمع والبصر وفي وصف القرآن للأصنام التي عبدها المشركون من دون الله نجده يسلبها هذه الكمالات كما هي في نفسها كذلك وذلك يدل على أن سلب هذه الصفات أو نفيها نقص وعيب في حق الله سبحانه وتعالى "(٢)

وبهذا نجد أن ابن تيميه يختلف مع جميع فرق المسلمين في رأيهم في الصفات الا أنه يتفق مع أهل السنه في رأيهم في اثبات صفات المعاني لله تعالى لذلك فهو يدافع عنهم ضد من يقول ان الاشاعره باثباتهم صفات المعاني جعلوا القدماء كثيرين مع الله تعالى فان النصارى كفروا بأن قالوا القدماء ثلاثة والاشاعره أثبتوا قدماء تسعه فبذلك جعلوه مفتقرا في كونه عالما الى ثبوت معنى هو العلم وليس عالما لذاته فبذلك أصبح ناقصا في ذاته كاملا بغيره . فيجيب على ذلك بقوله :

---

(١) سورة مريم آيه ٤١

(٢) المرجع السابق ص ٧٦ ـ ٧٧

ان اثبات الاشعريه لصفات المعانى ليس معناه أن الله كامل بغيره بل ان هذه الصفات ذاتيه فيه كما أن وصفهم لله تعالى بهذه الصفات لا يعنى أن هناك قدماء مع الله بل هو الله بجميع صفاته شىء واحد .

كما أن تكفير النصارى لم يكن لقولهم القدماء ثلاثه ولكن لقولهم ان الله ثالث ثلاثة آلهه قال تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثه وما من اله الا اله واحد "(١)

لذلك فان قولهم ان الاشعريه جعلوه ناقصا فى ذاته كاملا بغيره فهذا كلام باطل وذلك لان الصفات ليست شيئا منفصلا عن الذات حتى نقول ان الذات محتاجه للصفات ولا تكمل الا بها حيث أن الذات المجرده عن الصفات لا تعبر عن الله فان ذاتا دون صفات لا وجود لها بل الذات والصفات لا زمين لبعضهما لا ينفكوا أبدا وقولهم أنه مفتقرا فى كونه عالما الى ثبوت معنى هو العلم وليس عالما لذاته فهو باطل حيث أن ذاته هى الموجبه لصفه العلم كما أن اثبات الاشعريه للقدماء مع الله لم يثبتوا آلهه وانما هو اثبات للصفات مع الله تعالى . وهم فى ذلك ليسوا كالنصارى الذين أثبتوا آلهه مع الله "(٢)

---

(١) المائدة آيه ٧٣
(٢) الفتاوى الكبرى . الرسالة التسعينيه لابن تيميه جـ ٥ ط المثنى بغداد ص ٦٩١ ، ٧٢ بتصرف ، منهاج السنه النبويه جـ ١ ص ٢٣٣ بتصرف.

هذا عن الامام ابن تيميه أما تلميذه الامام ابن القيم فقد قال في مسأله اثبات صفات الكمال لله تعالى " توحيد العلم مداره على اثبات صفات الكمال وعلى نفي التشبيه والمثال والتنزيه من العيوب والنقائض وقد دل على هذا اثبات الحمد لله فان الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه والخضوع له وكلما كانت صفات كمال الممدوح أكثر كان حمده أكمل وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها ولهذا كان الحمد كله لله حمد لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها ولأجل هذا لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه "(١)

اذن فهو يثبت صفات الكمال لله تعالى ولكنه يزيد على أهل السنه أنه لم يقتصر على عدد معين من الصفات بل أثبت صفات لا تحصى وبعد فاني أقتنع برأى صاحب كتاب العقائد الاسلاميه حيث قال في هذه القضيه : " ونحن نرى رأى من رأى من العلماء وأئمه الدين أن هذا من الدخيل على الاسلام ومن البدع الطارئه على العقيده ومن المنكرات التي يجب على المسلمين أن يتنزهوا عنها فان ذات الله أجل من أن تتناول على هذا النحو وهذا النوع من التفكير مما نهينا

---

(١) مدارج السالكين جـ ١ ص ١٤ ط النار .

عنه ولم يكلفنا الله به لأنه خارج عن نطاق العقل المحدود وذات الله فوق الادراك وصدق الله العظيم حيث قال " لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (١)"

قوله تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (٢)
وقوله تعالى : " ايعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما " (٣) وتقدم الحديث : تفكروا في خلق الله ولاتفكروا في الله فانكم لن تقدروه قدره" ان كل ما كلفنا به أن نعلم أن الله موجود وأن له الاسماء الحسنى والصفات العليا والكمال المطلق " (٤) وبعد فقد أثبت أهل السنه والسلف صفات الكمال لله تعالى وقد أيدهم في هذا المذهب الامام الغزالي حيث قال ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياه قادر بقدره ومريد باراده ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمه " (٥) كذلك أثبت الامام الاسفراييني وجود هذه الصفات بالأدله حيث قال : يجب أن تعلم أن صانع العالم حي قادر عالم مريد متكلم سميع بصير لأن من لم يكن بهذه الصفات كان موصوفا بأضدادها وأضدادها نقائص وآفات تمنع صحه الفعل فصحت ثبوت هذه الصفات له من وجهين :
أحدهما : دلاله الفعل والثاني : نفي النقائص وقد دلت على اثبات هذه ظواهر نصوص القرآن " (٦)
الى هذا المعنى أيضا ذهب شارح الطحاويه مؤيدا لرأى السلف

---

(١) سورة الانعام آيه ١٠٣ (٢) سورة الشورى آيه ١١
(٣) سورة طه آيه ١١٠ (٣) العقائد الاسلاميه السيد سابق ط ٧
(٥) قواعد العقائد للامام الغزالي عالم الكتب ص ١٨٨
(٦) التبصير في الدين · ابي المظفر الاسفرايني ص ٩٩

فى ذلك حيث أثبت صفات الكمال لله تعالى وفرق بينها وبين صفات المخلوقين فقال: أن الله تعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال صفات الذات وصفات الفعل ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد إن كان متصفا بضده ...

وقال أيضا : أن نفى التشبيه ليس المراد به نفى الصفات بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال لكمال ذاته فالحى بحياة باقية لا يشبه الحى بحياة زائلة ولهذا كانت الحياة الدنيا متاعا ولهوا ولعبا وأن الدار الآخرة لهى الحيوان فالحياة الدنيا كالمنام والحياة الآخرة كاليقظة ولا يقال فهذه الحياة الآخرة كاملة وهى للمخلوق لأنا نقول الحى الذى الحياة من صفات ذاته اللازمة لها هو الذى وهب المخلوق تلك الحياة الدائمة فهى دائمة بادامة الله لها وليس الدوام وصف لازم لها لذاتها بخلاف حياة الرب تعالى وكذلك سائر صفاته فصفات الخالق كما يليق به.(١)

صفة القدرة: القدرة لغة القوة والاستطاعة وفى عرف علماء التوحيد : هى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها ايجاد الممكن واعدامه على وفق علمه وإرادته"(٢)

---

(١) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لابن أبى العز. دار الفكر ص ٤٢، ٤٤

(٢) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٢٧ ط مصطفى البابى الحلبى .

شـرح التعريـــــف:

صفة أزليـه : جنس في التعريف يشمل جميع الصفـــــات قائمهبذاتهتعالى : قيد أول لاخراج جميع الصفات ما عـــد ا صفات المعانـــــى .

يتأتى بها ايجاد الممكن واعدامه : قيد ثانى لاخراج ماعدا صفه القدره من صفات المعانــــى .

وهذه العباره تشير الى أمريـــــن .

الأمـر الأول : ما تتعلق بهالقدرة .

الأمـر الثانى : جهـة تعلقهـــا .

فأما عن تعلقها فهى تتعلق بالممكنات فقط و.[1] وأما جهة تعلقها فهـــى التأثير فى الممكن .

وقولنا على وفق الارادة : لبيان أن تعلق القدرة مترتب على تعلق الارادة فما تخصصه وترجمة الارادة تبرزه القــدرة .

معنى التعلق :

نرى أنه من الضرورى قبل توضيح تعلق الصفات أن نشرح ونبين معنى التعلق ... فالتعلق هو اقتضاء الصفة أمر زائدا على قيامها بالموصوف [2] وتوضيحا لذلك نقول فى القدرة مثلا أنها صفة قائمة بذات الله تعالــــى ومع ذلك تستلزم أمرا زائدا على قيامها بالموصوف .. هذا الأمر هو الايجاد والاعدام وكذا ســائر الصفات المتعلقة .

(١) العقيده الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٢٧ ، الموا قف . لعضد الدين الايجى ص ٢٨٣
(٢) المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٧

تعلق القـــــدرة :

تتعلق القدرة كما علمنا بالممكن فقط ٠٠ ولا تتعلق بالواجـــب ولا بالمستحيل[١] وبيان ذلـــك اذا تعلقت بالواجب لا يجاد ، فهـو تحصيل حاصل لانه موجود أصلا وان تعلقت بهلاعدامه لزم قلـــب الحقائـــق لان طبيعة الواجب لا تقبل العدم ٠٠٠٠ والامر كذلك بالنسبه للمستحيل فانه اذا تعلقت به القـــدرة لاعدامه كـــا ن ذلك تحصيل حاصل لانه معدوم أصـلا وان تعلقت بهلايجـــاد ، لزم قلب الحقائق لان طبيعـة المستحيل لا تقبل الوجود ٠
ويقول الامام الاسفراييني : أن قدرته عامه في جميع المقدووات ٠(٢)

الدليل العقلي على ثبوت صفة القدرة لله تعالى:

الله تعالى صانع قديم له مخلوق حادث وكل من كـان كذلـــك ثبتت له القدرة ٠ اذ ن الله ثبتت له القدرة ٠

" ويقول الامام الغزالي : كل فعل محكم فهو صادر من فاعل قادر — والعالم فعل محكم فهو اذ ن صادر من فاعل قادر ٠"(٣)

ويمكن الاستدلال بدليل آخـر نقول فيه :

لو لم يكن الله متصفا بالقدرة لا تصف بضدها وهو العجـــز ، والعجـز مستحيل على الله لا نه نقص فانتفى عنه العجز وثبتـــت له القـــدرة ٠[٤]

---

(١) العقيده الصغرى ٠ لسيدى أحمد الدردير ص ٣٩
(٢) التبصير في الدين ص ١٠١
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد ٠ للامام أبى حامد الغزالى ، احياء علوم الدين جـ ١ ص ١١٤
(٤) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٣٩

الدليل النقلـــى :

قوله تعالى : "تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير" (١)

الاراده :

الارادة لغـــة : القصد ويرادفها المشيئـــة

وفى عرف علماء التوحيد : صفة أزليـــة قائمه بذات الله تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلـــة . (٢)

شرح التعريف : صفة أزلية : جنس يشمل جميع الصفات قائمـــة بذاته تعالـــى : قيد أول يخرج ما عدا صفات المعانى تخصـص الممكن ببعض ما يجـوز عليـه : قيد ثانى يخـرج ما عدا صفـة الارادة .

وهذه العبارة تشير الى أمريـــن :

١ ــ ما تتعلق به الارادة

٢ ــ جهـة التعـــلق

فأما ما تتعلق به الارادة فهى تتعلق بالممكنات فقط) (٣) وأمـا

---

(١) سورة الملك آية (١)

(٢) المواقف للايجى صـ ٢٩١ طبيروت ، العقيدة الصغـــرى لسيدى أحمد الدردير صـ ٢٤ ، العقائد الاسلاميه السيد سابـق دار الكتاب العربى بيروت صـ ٦٢

(٣) العقيدة الصغرى لسيد أحمد الدردير صـ ٢٧ .

جهـــة تعلقها فهو الترجيح والتخصيص للممكـــن ببعض ما يجوز عليـــه من الأمور المتقابلة. ويوضح صاحب الجوهره المتقابلات في الوجـــود فيقول : المتقابلات سته :

١ ـ الوجود يقابل العدم وبالعكس .
٢ ـ بعض الصفات يقابل البعض الاخر .
٣ ـ بعض الأزمنه يقابل البعض الاخـــر .
٤ ـ بعض الأمكنه يقابل البعـــض الاخر .
٥ ـ بعض الجهات يقابل البعض الاخـــر.
٦ ـ بعض المقادير يقابل البعض الاخـــر. (١)

تعلق الارادة :

علمنا أن الارادة تتعلق بالممكن فقط ولا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل (٢) لما سبق توضيحه بالكلام عن القدرة .

اذن فهي تتعلق بالممكن فقط عن وجه التخصيص والترجيـــح فهي تخصص الممكن بوجود بدل العدم وبالبياض بدل السواد وبوجوده في هذه المكان دون سائر الأمكنة وفي هذا اليوم دون سائر الأيـــام وفي المشرق بدل المغرب وبالطول بدل القصر وبالعكـس) (٣)

---

(١) شرح البيجوري على الجوهره لشيخ الاسلام ابراهيم البيجوري ص ٧٢
(٢) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٢٥
(٣) المرجع السابق ص ٢٧

وارادة الله عامة تتعلق بجميع الممكنات خيرها وشرها لكن لايجوز نسبة الشر اليه تعالى ... والمعتزلة ينكرون ارادة الله للشر وانكارهم هذا باطل لأنه يلزم على مذهبهم أن يقع في ملك الله تعالى ما لا يريده من الشر والآثام وهذا باطل)(١) لأن الله يريد الشر ولكن لا يرضى عنه وفرق كبير بين الرضا والارادة . فالله اذا أراد الشر وقع الشر حتما بارادة الله تعالى ولكن دون رضا الله تعالى عن هذا الشر فالله تعالى يريد كفر الكافر ولكن لا يرضى عنه . وقد دلت الآيات على خلاف قولهم كقوله تعالى :

" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا)(٢) لذلك قال أهل السنه ان الله وان كان يريد المعاصي قدرا فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها وهذا قول السلف قاطبه لذلك فالمحققون من أهل السنه يقولون الاراده قدريه كونيه خلقيه واراده دينيه أمريه شرعيه فالاراده الشرعية هي المتضمنه للمحبه والرضا والكونيه هي المشيئه الشامله لجميع الحوادث وهذا كقوله تعالى: " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " وقوله تعالى عن نوح عليه السلام " ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم " وقوله تعالى " ولكن الله يفعل ما يريد "

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥ ، ٢٦
(٢) سورة الانعام آيه ١٢٥

وأما الارادة الشرعية فقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " وقوله تعالى : " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما " يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا " وقوله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "(١) كذلك يجب العلم بان ارادة الله عامة في جميع الارادات ولا يجرى في ملكه ما لا يريد كونه "(٢)

الدليل العقلى على ثبوت الارادة :

الله خالق للعالم بالقصد والاختيار وكل من كان كذلك تجب له الارادة . فالله اذن تجب له الارادة .

الدليل النقلى :

قوله تعالى : " ان ربك فعال لما يريد "(٣)

وقوله تعالى : " انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون "(٤)

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لابن أبى العز . دار الفكر ص ٣٧

(٢) التبصير في الدين . أبى المظفر الاسفرايينى ط الاولى مطبعة الانوار ص ١٠١

(٣) سورة هود آية ١٠٧ (٤) سورة النحل آية ٤٠

العلـــم :

من صفات المعانى الثابتة لله صفة العلم وهى صفة أزلية قائمـــة بذاته تعالى تنكشف بها الواجبات والجائزات والمستحيلات انكشافـــا تاما لم يسبق بخفاء .(١)

شـــرح التعريـــف:

صفة أزليـــة : جنس فى التعريف تشمل جميع الصفـــات.
قائمة بذاته تعالى : قيد أول لاخراج ما عدا صفات المعانى تنكشـف بها الواجبات والجائزات والمستحيلات قيد ثانى لاخراج ما عـــدا صفـــة العلم من صفات المعانى ثم أن هذه العبارة "تنكشف به" تشيـــر الـــى أمرين :

أولا : ما تتعلق به صفة العلـــم .
ثانيا : جهة التعلـــــــــق .

فأما ما تتعلق به صفـــة العلم فهى تتعلق بجميع الواجبـــا ت والجائزات والمستحيلات)(٢)

أما جهـــة التعلـــق فهى الانكشاف .

تعلق العلم :

علمنا أن صفة العلم هى انكشاف لله تعالـــى بعلم الأشياء علـــى

(١) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٢٢
(٢) المرجع السابـــق ص ٢٢

ما هى عليه ولذلك فهى تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات .

وعلمه لا يتغير بتغيرها لوجود شئ فى الماضى ثم فى الحال ثم فى الاستقبال أطوار فى المعلوم لا توجب تغيرا فى العلم .

فالمتغير هو المعلوم وليس العلم ... وعلم الله عام التعلق بجميع الأشياء فيعلم الكليات والجزئيات المتناهى منها وغير المتناهى[١] وقد كفر الفلاسفة بانكارهم علمه تعالى بالجزئيات .[٢]

الدليل العقلى على ثبوت صفة العلم :

الله تعالى فاعل فعل متقن محكم بالقصد والاختيار وكل من كان كذلك فهو عالم اذن فالله تعالى ثبت له العلم .[٣]

الدليل النقلى :

قوله تعالى : " وأسروا قولكم أو أجهروا به .. انه عليم بذات الصدور ".[٤]

وقوله تعالى : "وأن الله بكل شئ عليم ".[٥]

---

(١) التبصير فى الدين . أبى المظفر الاسفراييني ط الأولى ص ١٠١

(٢) تهافت الفلاسفه للامام الغزالى تحقيق سليمان دينا ص

(٣) المواقف للايجى ص ٢٨٥ ، الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى شرح د . رشاد دهمش ص ١٣٥ ، الاحياء جـ١ ص ١١٤ ، الاربعين فى أصول الدين . للرازى ص ١٨٨

(٥) سورة الملك آيه ١٣ (٥) سورة المائدة آيه ٩٧

وقوله تعالى : " والله واسع عليم " (١)

علم الله ليس مكتسب :

لا يجوز أن يطلق على علمه تعالى أنه مكتسب ولا يصح اعتقاد ذلك لأن الكسب حادث فلو كان علمه كسبيا لزم قيام الحادث بذاته تعالى وسبق جهله به وكلاهما محال .

الحياة :

ومن صفات المعاني الثابتة لله صفة الحياة وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تقتضي صحة اتصافه بالقدرة والارادة وسائر صفات المعاني فانه لا يقبل أن يكون قادرا أو مريدا أو عالما الا اذا كان حيا .

شرح التعريف:

يمكن معرفة ذلك بالقياس على تعريفات الصفات السابقة الا أن الحياة هنا ليس لها تعلق ولا جهة تعلق ... فحياة الله لذاته لا لشيء خارج عن ذاته) (٢)

الدليل العقلي على ثبوت صفة الحياة :

الله ثبت اتصافه بالقدرة والارادة والعلم وكل من كان كذلك

---

(١) سورة البقرة آيه ٢٦١
(٢) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٢٢

ثبت له الحياة فالله ثبت له الحياة ... ويمكن أن نقول أنه لو انتفت عنه الحياة لم يوجد شيء من المخلوقات وعدم وجود شيء باطل بالمشاهد ، فبطل ما أدى إليه .(١)

الدليل النقلي : قال تعالى: " الله لا إله إلا هو الحي القيوم " (٢)

قال تعالى : " وتوكل على الحي الذي لا يموت " (٣)

السمع : صفه أزلية قائمة بذاته تعالى يدرك بها المسموعات ادراكا يغاير ادراك الحوادث فالله تعالى يسمع كل شيء لا فرق بين قريب وبعيد ولا بين صوت قوي وضعيف .

الدليل العقلي على ثبوت صفة السمع:

لو لم يتصف الله تعالى بالسمع لا تصف بضده وضده نقص والنقص والنقص محال على الله تعالى . وقد اعتمد الامام الغزالي على ذلك الدليل لاثبات السمع لله تعالى فقال ان السمع كمال وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع وقد كانت هذه الدعوى هي حجه سيدنا ابراهيم على أبيه حين قال : " لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا " وقد أيده المولى تعالى حيث قال " وتلك حجتنا أتيناها ابراهيم على قومه " (٤)

الدليل النقلي : قوله تعالى: " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (٥)

---

(١) احياء علوم الدين للغزالي جـ١ ص ١١٤ ، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٦١ ط الأولى

(٢) سورة البقرة آيه ٢٥٥ (٣) سورة الفرقان ايه ٥٨

(٤) الاحياء للامام الغزالي حـ١ ص١١٤ (٥) سورة الشورى آيه ١١

وقوله تعالى : " لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى " (١)
وقوله تعالى : " له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع " (٢)

تعلق السمع :

سمع الله تعالى يتعلق بجميع الموجودات على جهة الانكشاف والشمول . (٣)

البصر :

صفة أزلية قائمة بذاته يدرك بها جميع المبصرات ادراكا يغاير ادراك السمع والعلم ويغاير ادارك الحوادث للمبصرات . فالله تعالى يرى كل شئ ولا يحجبه عن رؤية الاشياء أى شئ القريب والبعيد الظاهر والباطن سواء فى حقه تعالى .

الدليل العقلى على ثبوت صفة البصر :

لو لم يتصف الله تعالى بالبصر لا تصف بضده وضده نقص والنقص محال على الله تعالى . اذن يثبت له صفة البصر .
وكما اعتمد الغزالى على هذا الاستدلال فى السمع نجد انه اعتمد عليه فى البصر ولذلك قال : وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحه وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة " (٤)

---

(١) سورة طه آيه ٤٦ (٢) سورة الكهف آيه ٢٦
(٣) العقيدة الصغرى ص ٢٨ (٤)
(٤) احياء علوم الدين . للامام الغزالى جـ١ ص ١١٤

الدليل النقلي :

قال تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ".(١)
قال تعالى : " والله بما تعملون بصير ".(٢)

تعلق البصر :

تتعلق صفة البصر بجميع الموجودات فقط تعلق احاطة وشمول

الكلام النفسي :

صفة الكلام صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تدل على الأمر والنهي والخبر والوعد والوعيد الى غير ذلك وهي ليست بحروف ولا أصوات منزهة عن الآفة الباطنية . بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس .(٣)

واذا قيل كيف يقال ان القرآن كلام الله وهو عبارة عن ألفاظ وحروف ؟ فيجاب عن ذلك بأن القرآن له اطلاقين :

١) تارة يطلق على الكلام النفسي وحينئذ يكون المراد منه كلام الله تعالى القديم وهو الصفة التي نتحدث عنها .

٢) ويطلق القرآن تارة أخرى على السور والآيات والألفاظ المكتوبة في المصاحف المحفوظة في الصدور المقروءة والمسموعة وهو حينئذ يكون المراد منه الكلام الحادث المخلوق .

---

(١) سورة الشورى آية ١١ (٢) سورة التغابن آية ٢
(٣) قواعد العقائد للامام الغزالي عالم الكتب ص
ص ٦٠

اذ ن يجب تنزيه الله تعالى عن الكلام الحسي الذى هو عبارة عن الحروف والأصوات الصادرة عن الحوادث المكيف بكيفات وانما هو يتصف بالكلام النفسى القائم بذاته تعالى . (١)

* ويشرح لنا هذا الموضوع د . سيد عبد التواب من خلال عرضه لموقف العلماء حيث يقول:

أما الكلام فما معناه على الحقيقة ؟

هل هو عبارة عن الألفاظ والحروف المنطوقة والمقروءة والمسموعة أو هو عبارة عن المعانى القائمه بالنفس والتى يعبر عنها بالألفاظ والحروف؟

الى المعنى الاول وهو أن الكلام عبارة عن الألفاظ والحروف ذهب المعتزله وعلى ذلك فمعنى أن الله تعالى متكلم عندهم أنه خالق الكلام فى غيره. أما الثانى المتمثل فى أن الكلام عباره عن المعانى القائمه بالنفس فاليه ذهب الاشاعره وعليه فمعنى أن الله تعالى متكلم عندهم أنه موصوف بصفة الكلام وعرفوها بأنها صفه أزليه قائمه بذاته تعالى ليست بحروف ولا صوت منزهه عن التقدم والتأخر والاعراب والبناء ومنزهه عن السكوت بأن لا يدبر فى نفسه الكلام مع القدرة عليه. ومنزهه عن الآفه الباطنيه بأن لا يقدر على ذلك كما فى حال الخرس والطفوله.

وكلامه تعالى عند الأشاعره واحد لا تعدد فيه . وانما له أقسام اعتباريه فهو مثلا أمر من حيث تعلقه بطلب تنفيذ الفعل

---

(١) المواقف للايجى ط بيروت ص ٢٩٣ـ ٢٩٤ ، الاحياء للامام الغزالى حـ ١ ص ١١٤

ونهى من حيث تعلقه بطلب ترك الفعل ... وهكذا أما السلف رضوان الله عليهم فقد قالوا : ان السمع قد أسند لله تعالى كثيرا من الصفات الخبريه كالوجه واليد ونحن ننفى أن تكون مثل صفات الحوادث الا أننا نؤمن بها دون التعرض لبيان كيفيتها لأن الله تعالى هو العالم بها وحده ، كذلك السمع قد أخبرنا بكلام لله تعالى نحن نقرؤه ونسمعه ونكتبه وقد اتفق على أنه غير مخلوق اذن فنحن نؤمن بما بين الدفتين على أنه كلام الله وأن ما نقرؤه ونسمعه ونكتبه عن كلام الله وهو غير مخلوق كما أنه لا يماثل كلامنا ولا نتعرض لبيان حقيقته وكيفيته وانما نفوض ذلك الى الله تعالى ولكن يجب أن نفرق بين شيئين :

الاول : القراءه والتلاوه والكتابه

الثانى : المقروء والمتلو والمكتوب .

فالاول مخلوق والثانى غير مخلوق .(١)

الدليل العقلى على ثبوت صفة الكلام لله تعالى :

أنه لو لم يكن الله تعالى متكلما لا تصف بضد هذه الصفة وضدها نقص والنقص محال على الله تعالى فثبت اتصافه تعالى بالكلام .(٢)

---

(١) محاضرات فى علم التوحيد . د . سيد عبد التواب ط الاولى ص ١٥٧ ـ ١٥٨

(٢) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٤٠

الدليل النقلـــى :

قوله تعالى : " وكلم اللـــه موسى تكليما ".(١)

وقوله تعالى : " تلك الرسل فضلنا بعضهم علـى بعض، منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات.(٢)

تعلـق الكـــلام :

هذه الصفة عامة التعلـــق فهى تتعلق بالواجبات والجائـــزات والمستحيلات (٣) ثم هى واحدة ولكن تعلقها متعدد فهى وعـــد ووعيـد . وعد باثابة الطائع ووعيـد بتعذيب العاصى.

---

(١) سورة النساء آية ١٦٤
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٣
(٣) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير ص ٢٨ ط مصطفى البابى الحلبى

الفصل الرابع

النبوات

المبحث الأول : النبوة والرسالة ·

المبحث الثانى : المعجزة ·

المبحث الثالث : الوحى ·

المبحث الرابع : الولاية والكرامة ·

النبـــــــــوات

المبحث الأول : النبوة والرســـــالة

أولا : معنى النبوة والرســـالة .

ثانيا : معنى النبى والرســـول .

ثالثا : الفرق بين النبوة والملك .

رابعا : الشـــروط الشـــرعية للنبى والرســـول .

خامسا : حاجة البشـــر الى ارسال الرســـل .

سادسا : الحكمة من ارســـــــال الرســـل .

سابعا : الهدف من ارســــــال الرســـل .

ثامنا : الصفات الواجبـــة للرســـــل .

أولا : معنى النبوة والرسالــــة :

معــنى النبـــوة :

هى اختصاص العبـد بسماع وحى من الله تعالى بحكم شرعــى تكليفى سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمــــر .

معنى الرســـالة :

هى اختصاص العبد بسماع وحى من الله بحكم شرعى تكليفـــى أمر بتبليغـــه)(١)

ثانيا : معنى النبى والرسول:

يفترق العلماء فى تحديد معنى النبى والرسول الى فريقين: فالفريق الاول يرى أن مدلول اللفظين مختلف من حيث اللغة والاصطلاح وعنده .

أن معنى النبى لغـة : اما أن يكون مأخوذ من النبـــوة وهو المرتفع من الاشياء . وذلك لعلو شأن النبى وارتفاعه بيـــــن قومه خلقا وشرفا واما أن يكون مأخوذ من النبأ وهو الاخبار والاعــــلام فيكون النبى مخبر ومنبئ عن الله تعالى وقيل من النبى وهو الطريــق لانه وسيله الى الله تعالى .(٢)

---

(١) العقيدة الاسلاميه فى ضوء النقل والعقل والقلب د . عبد الســلام محمد عبده ط الاولى ص ٢٨٣

(٢) المواقف لعضد الدين الايجى . بيروت عالم الكتب ص ٣٣٧ ، و شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازانى جـ ٥ ص ٥ ط الاولى مكتبه الكليات الازهريه .

أما معنى الرسول لغة : فهو من الارسال ويطلق على الوساطه بين المرسل والمرسل اليه فهو وسيط بين الله سبحانه وتعالى وبين البشر ونحن لا نرى فرق بين اللفظين من جهة المدلول اللغوى حيث أن كل منهما مخبر عن الله وواسطة بينه تعالى وبين البشر لهدايتهم .

أما معنى النبى والرسول اصطلاحا فهو :

النبى : انسان ذكر حر من بنى آدم أوحى الله اليه بشرع ليعمل به سواء أمر بالتبليغ أو لا .

والرسول : انسان ذكر حر من بنى آدم أوحى الله اليه بشرع ليعمل به وأمر بتبليغه .

اذ ن هذا الفريق يفرق بين النبى والرسول من حيث التبليغ فالتبليغ ليس شرطا فى النبى ولكنه شرط أساسى فى الرسول يقول صاحب كتاب عقيدة المؤمن : أن الرسول من أمر بابلاغ ما أوحى اليه والنبى من أوحى اليه بشىء ولم يؤمر بابلاغه لاختصاصه به دون غيره من الناس وعليه فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا . ومثال النبى غير الرسول يوشع بن نون صاحب موسى وفتاه عليهما السلام فقد نبأه الله تعالى وخلف موسى وهارون فى بنى اسرائيل وهو الذى غزا بيت المقدس وفتحها الله تعالى عليه . ومثال النبى الرسول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو نبى الله ورسوله الى الناس أجمعين وكذا سائر الانبياء والمرسلين المذكورين فى

القرآن الكريم". (١)

أما الفريق الثاني فهو يرى أن النبي والرسول بمعنى واحد حيث أن كل منهما انسان حر ذكر من بني آدم أوحى الله اليه بشرع ليعمل به وأمر بتبليغه.

اذن يرى هذا الفريق أن كل من النبي والرسول أمر بالتبليغ وأن الفرق الوحيد بين النبي والرسول هو :

"أن الرسول له كتاب خاص به وشرع منسوب اليه - كالتوراة بالنسبة لموسى عليه السلام والانجيل بالنسبة لعيسى عليه السلام وكالقرآن بالنسبه لمحمد صلى الله عليه وسلم، وكذا الشريعة فلموسى شريعة خاصة به ولعيسى شريعة خاصة به ولمحمد شريعة خاصة به صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين". (٢)

والرأي الذى نستريح اليه هو رأي الفريق الاول الذى يفرق بين النبي والرسول في التبليغ فيرى أن النبي لم يؤمر بالتبليغ أما الرسول فقد أمر بالتبليغ.

قال تعالى : "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك. وان لم تفعل فما بلغت رسالته". (٣)

---

(١) عقيدة المؤمن أبو بكر جابر الجزائري . دار الكتب السلفيه ص ٢٠٩
(٢) بتصرف . توضيح أصول الدين د . سيد عبد التواب ط الاولى ص ١٦١ ، شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازاني حـ ٥ ص ٦
(٣) سورة المائدة آية ٦٧

ثالثا : الفرق بين النبوة والملك:

ان النبوة هبة من الله واختصاص من العلى القدير يعطيها لمن يشاء من خلقه[1] وهى تختلف عن الملك والسلطان فى نقاط جوهرية نذكر منها :

١ ـ النبوة لا تعطى لكافر أبدا ولا تعطى الا للمؤمن بخلاف السلطان والملك فقد يعطى لغير المؤمن . قال تعالى حكاية عن النمروذ الذى ادعى الألوهية فى زمن ابراهيم الخليل : " ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك . اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت . قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر . والله لا يهدى القوم الظالمين " .(٢)

اذن الرسالة لا تنال بمال ولا جاه ولا كسب بالرياضة والزهد "وقد قال صاحب كتاب عقيدة المؤمن : أن النبوة لاتأتى من طريق الكسب والاجتهاد أبدا فلو انقطع المرء الى العبادة كليه وتخلى عن سائر الحظوظ النفسيه وعن كل الرغبات والشهوات وسائر متع الحياة ولذائذها لم يؤهله ذلك لأن يكون نبيا أو رسولا بحال من الاحوال . أن النبوة هبة خاصة يختص بها الله واهبها من أهله لها من عباده المؤمنين بيد أن الله يهيء لها باعداد

(١) شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازانى حـ ٥ ص ٨
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٨

خاص عبدا من عباده فيحفظه من التلوث النفسي والضلال العقلي والفساد الخلقي والانحراف الفطري ويخفي عليه من الكمالات النفسيه والعقلية والخلقيه ما يؤهله به لمقام النبوه الشريف".(١)

كذلك قال الشيخ محمد الغزالي " النبوه هبه لا كسب وفضل يغدق لا نصيب يطالب به ويسعى اليه وهذا حق "أهم يقسمون رحمه ربك"(٢)(٣) قال تعالى : " والله يختص برحمته من يشاء ".(٤) كما قال تعالى : "الله أعلم حيث يجعل رسالته".(٥) وقال تعالى: "الله يصطفي من الملائكه رسلا ومن الناس ".(٦) اذن فهي منه من الله تعالى واجتباء منه لمن أراد من الناس".

رابعا : الشروط الأساسية الشرعية للنبي والرسول :

يذكر المتكلمون للأنبياء والرسل شروطا شرعيه خمسة هي :

١ - البشرية : فليس هناك رسول أو نبي من الجن أو الملائكة مثلا : قال تعالى : " قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي"(٧)

---

(١) عقيدة المؤمن . أبو بكر جابر الجزائري . دار الكتب السلفية ص ٢٠٩

(٢) سورة الزخرف آيه ٣٢

(٣) عقيدة المسلم . الشيخ محمد الغزالي . دار الشروق ص ٢٠٨ ط الاولى

(٤) سورة البقرة آية ١٠٥ (٥) سورة الانعام آيه ١٢٤

(٦) سورة الحج آيه ٧٥ (٧) سورة الكهف ايه ١١٠

٢ـ الذكورة : فليس هناك رسول أو نبى من الاناث · قال تعالى : " وما أرسلنا قبلك الا رجالا " (١)

٣ـ الحرية : فليس هناك رسول أو نبى من العبيد لأن العبودية لا تمكنه من نشر دعوته ولا الجهاد والنضال فى سبيلها لأنه ليس حرا فى تصرفه ·

٤ـ التفوق على من بعث اليهم فيجب أن يكون أعلم بالدين منهم لأنه سيكون اماما لهم فى هذا الدين فكيف يكون أنقص منهم علما ·

٥ـ الخلو والسلامة من العيوب المنفرة ·· حتى لا يتفرق عنه الناس ويهربون منه سواء كان خلقيا · بأن يصاب بمرض معد منفر أو خلقيا بأن يكون حاد الطبع متصف بمرذول الصفات ·

ولم يشترط المتكلمون البلوغ كشرط سادس للنبوة أو الرسالة ذلك لأنهم اتفقوا على جواز أن يبعث الله نبيا صغيرا ·· لكنهم اختلفوا فى وقوعه الى فريقان :

الفريق الأول : يرى أن ذلك وقع فعلا مستدلا بما حدث ليحى عليه السلام فقد قال القرآن فيه : " يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا " (٢)

والفريق الثانى : يرى أن ذلك لم يقع فلم يبعث نبى دون البلوغ وان كان ذلك جائز الوقوع · ورد على الفريق الأول بأن الآيتين يتحدثان على ما سيحدث لا على ما حدث فعلا وعبر بالماضى للتأكد من الوقوع والحدوث لا أنه حدث فعلا · (٣)

---

(١) سورة الأنبياء آية "٧"

(٢) سورة مريم الآيات ١٢ : ١٣

(٣) العقيدة الاسلامية فى ضوء النقل والعقل والقلب د ·عبد السلام محمد عبده ، ط الاولى ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ·

خامسا : حاجة البشر الى ارسال الرسل :

مما لا شك فيه أنه لاسبيل الى سعادة البشر الدنيوية والأخروية الا على أيدى الرسل كما أنه لا سبيل الى معرفة الطيب من الأعمال والخبيث منها الا من جهتهم فمتابعتهم يتميز أهل الحق من أهل الضلال . لهذا كانت حاجة البشر لرسالة الرسل لمعرفة ما جاءوا به وتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به واجتناب مانهوا عنه ضرورية لهم أكثر من حاجة البدن الى الروح ومن العين الى نورها لأن الرسل هم الهداة المصلحون وهم أطباء القلوب فبهداهم تتحقق سعادة البشر دنيا وأخرى هذا ولايغنى عنها عقل مهما أوتى من ذكاء وفطنة . فالعقل وان كان يدرك بعض الأمور الا أن هناك أمورا لا يصل اليها العقل ولا يمكنه ادراكها . فالامور الأخروية وطرق الوصول اليها ومقادير الحدود والعبادات وكونها فى أوقات مخصوصة وصوم رمضان وتحريم صوم أول يوم من شوال وهما يومان متجاوران . كل هذه الأمور وغيرها من السمعيات والغيبيات التى يعجز عنها العقل ولا سبيل الى معرفتها لابد وأن تكون عن طريق الرسل .. ومن هنا كانت الحاجة ماسة وضرورية الى ارسال الرسل . لذلك يقول الامام الغزالى فى ذلك : ليس يستحيل بعثه الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمه حيث قالوا لافائدة فى بعثتهم اذ فى العقل مندوحه عنهم لأن العقل لا يهدى الى الأفعال المنجيه فى الآخرة كما لا يهدى الى الأدويه المفيده للصحه فحاجه الخلق الى الأنبياء كحاجتهم الى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبى بالمعجزه" (١)

" ويذكر لنا الدكتور سيد عبد التواب نقلا عن كتاب الوحى المحمدى للشيخ رشيد رضا أن البعض يذهب الى استغناء العقل والعلم البشرى عن الوحى ويؤكدون هذا الزعم مستندين الى أن الايمان بالغيب ووجود الله اما غريزى فى الفطره البشريه أو الهام يلقى فى روع الافراد عند نمو مداركهم . بالاضافه الى أن كثيرا من الحكماء قد وصلوا عن

(١) احياء علوم الدين للامام الغزالى جـ ١ ص ١١٨

طريق عقولهم الى المقاصد الأساسية الثلاثة للرسالات الدينيه : فوصلوا عن طريق البرهان العقلى الى وجود الواجب وعلمه وحكمته وما يجب له من التعظيم والشكر والعباده ، كما وصلوا الى بقاء النفس بعد الموت وخلودهم فى النعيم أو العذاب ووصلوا أيضا الى وضع أصول الفضائل والتشريع التى تحقق سعاده الانسانيه وتدعم روابطها .

ثم يوضح الدكتور سيد عبد التواب موقف السيد رشيد رضا من هذا الكلام وتعليقه عليه حيث يقول : ان الشيخ رشيد يسلم بكل هذه الامور ويرى أن لها أصلا يثبته التاريخ الماضى ويشهده العصر الحاضر ولكن هناك فروقا بين هدايه الانبياء وحكمه الحكماء وهى فروق فى مصدر كل منهما وفى الثقه بصحته وفى الاذعان لحقيقته وفى تأثيره فى أنفس جميع طبقات المخاطبين فحكمه الحكماء بشريه ناقصه اذ هى ظنون "لا تبلغ من عالم الغيب الا أنه موجود مجهول" ومن ثم فهى عرضه للخطأ والخلاف كما أن الحكمه لا يفهمها كل الناس وانما فئه خاصه هى التى تفهمها " وما كل من يفهمها يقبلها ولا كل من يقبلها ويعتقد صحتها يرجحها على هواه وشهواته اذ لا سلطان لها على وجدان العالم بها ... لأن النوع البشرى يأبى طبعه وغريزته أن يدين ويخضع خضوع التعبد لمن هو مثله فى بشريته وان فاق فى علمه وحكمته وانما يدين لمن يعتقد أن له سلطانا غيبيا عليه بما يملكه من القدره

على النفع والضر بذاته دون الأسباب الطبيعية المبذولة لجميع الناس بحسب سنن الكون ونظامه" .

أما هداية الوحي الديني فمن أعظم مزاياها "أن جميع طبقات المؤمنين بها يذعنون لها بالوازع النفسي التعبدي فبذلك تكون عامة ثابتة لا مجال للخلاف والتفرق فيها ما دام الفهم لها صحيحا والايمان بها راسخا .(١)

وعلى المحاكاة لهذا القول أو المذهب أيضا ما ذهب اليه البراهمة من شبه محاولين بها الوصول الى اثبات مذهبهم في منع البعثة واستحالة الرسالة "(٢) وشبه البراهمة مبنية على تحسين العقول وتقبيحها ".(٣)

ويوضح لنا ما ذهبوا اليه من شبه في نفي البعثة فضيلة الشيخ صالح موسى شرف حيث قال "للبراهمة شبه ثلاثة بنوا عليها مذهبهم من استحالة البعثة :

الشبهة الاولى : قالوا فيها لو بعث الله رسولا ليبلغ الناس فاما أن يكون ما أمرهم الله بتبليغه لهم يقتضيه العقل أولا . فان كان الأول فلا فائدة في الارسال لأن العقل يغني عنهم فلا فائدة في ارسالهم حينئذ والا كان ذلك عبثا وهو محال وان كان الثاني كان ارسالهم محالا لأن الناس لا يصدقون الا ما تقتضيه عقولهم وعلى ذلك استحال على المبعوث اليهم تصديق الرسل الذين جاءوا بما يخالف عقولهم فلا فائدة في ارسالهم لأن الغرض من ارسالهم تصديق الناس لهم في دعوتهم .

---

(١) محاضرات في علم التوحيد . د . سيد عبد التواب ط الاولى ص ١٦٧ ـ ١٦٨

(٢) شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازاني جـ ٥ ص ٩

(٣) الارشاد لامام الحرمين الجويني مؤسسة الكتب الثقافية ط الاولى ص ٢٥٨ .

والجواب عن هذه الشبهه : اننا نمنع الحصر الذى ذكرتموه لأن هناك أمورا جاء بها الرسل لا يمكن للعقل ادراكها حتى يقتضيها العقل أولا يقتضيها ولا يمكنه أن يستقل بمعرفتها مثل الحدود المختلفه وأوقات الصلاه وعدد الركعات ومثل السمعيات وغير ذلك فاذا جاء الرسول بها استطاع العقل بعد سماعها معرفتها فاذا سمع العقل من الرسول أن هذا العمل نافع وذاك ضار وقامت القرائن على صدق هذا الرسول بواسطة المعجزه استطاع العقل أن يفهم النافع من الضار ومثل العقل فى هذه الامور مثل الدواء فمنه النافع ومنه الضار لانه يختلف بحسب الاشخاص والازمان فالعقل وحده لا يدرك ذلك الا بارشاد الطبيب فاذا أخبر الطبيب بنفع هذا الدواء لشخص مريض وضرره بالنسبه لمريض آخر فان الاول يقبل عليه ويبتعد الثانى عنه وكما يعرف صدق الطبيب بشهادته وتجاربه كذلك يعرف صدق طبيب النفوس والارواح بما أمده الله من معجزات خارقه للعاده .

الشبهة الثانية للبراهمه : قالوا فيها اما أن يكلم الله الناس مشافهه وعيانا بدون واسطه واما أن يكلمهم بواسطه ارسال الرسل فان كان الاول فلا فائده فى ارسال الرسل لأن الله كلم الناس عيانا وان كان الثانى فالاماره التى معهم لا تتميز عن السحر واذا كان كذلك لم يأمن الناس من أن يكون هذا الخارق سحرا وحينئذ يقول الناس عنه أنه ساحر أو منجم .

الجواب عن هذه الشبهة:

نقول في الجواب أنا لا نسلم أن الله يكلم الناس مشافهة بل يكلمهم بواسطة الرسل وقولكم أن المعجزة لاتتميز عن السحر قول باطل اذ لا يصدق عاقل أن السحر بلغ حد المعجزة فهل وجد سحر أحيا الموتى وفلق البحر وهل وجد سحر أبرأ الأكمه وأنزلت عليه مائدة من السماء وهل وجد سحر جعل الجماد يتكلم ولينظر من يشك في ذلك الى القرآن الكريم الذى أنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والتسليم وقد تحدى به فرسان الفصاحة والبلاغة وأهل البيان بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله معجزوا بل شهدوا له بأنه يعلو ولا يعلى عليه وأن أسفله لمغدق وأعلاه لمثمر واذا تمادوا في الانكار فعليهم أن يجمعوا أكابر السحرة ليأتوا بمثل معجزات الأنبياء وهيهات أن يأتوا .

الشبهة الثالثة للبراهمة:

هذه الشبهة مبنية على تميز المعجزة عن السحر وغيره قالوا فيها : أين يعرف بالمعجزة صدق الرسول أفلا يجوز أن يكون الآتى بها قصد اضلالنا واغوائنا وهو في الواقع غير رسول ويكون قصده امتحاننا هل نؤمن بهذا الضال الذى أعطى الخارق أولا نؤمن به فنسعد وننجح في الامتحان ويكون مثل هذه الصفات مثل المسيخ الدجال الذى سيدعى الألوهية ومعه من الخوارق الشىء الكثير فمن لم يصدق به

نجا ومن صدقه وآمن به هلك وعلى ذلك فما المانع من أن يكون الآتي بالخارق دعيا كاذبا وأنتم يا أهل السنه تقولون أن الاضلال من الله غير قبيح وجواب المعتزله أن القبيح مستحيل على الله تعالى ومعنى قوله "يضل من يشاء" يبين للعباد طرق الضلال لا أن يخلق فيهم الضلال كما هو مذهب أهل السنه .

وأما جواب أهل السنه عن هذه الشبهه : فيقولون فيه أن العلم بوجه دلاله المعجزه على صدق الرسول يدل على الامان من الاضلال فان من ادعى الرساله وأعطاه الله الخارق وتحدى به قومه ثم عجزوا كان هذا الخارق من الله دالا على صدق الرسول قطعا لا شك في ذلك لان تصديق الكاذب كذب وهو محال على الله تعالى ومثال ذلك من ادعى انه رسول ملك الى رعيته فعليهم سماع قوله وطاعتهم له وكان ذلك بحضره الملك وقومه فقال له القوم ما دليلك على هذا قال يقوم الملك من على سريره ويقعد ثلاث مرات ففعل الملك ذلك على خلاف عادته أفلا يدل هذا على صدق رسوله فيما ادعاه ولو قال الملك نعم هو رسول كان دالا بالقول ومثله دلاله الفعل . ومن ثم لم ينكر أحد صدق الانبياء من جهه الخارق .(١)

---

(١) تيسير الاقتصاد في الاعتقاد جـ ٢ ط الرابعة د . صالح موسى شرف . دار الطباعه المحمديه ص ٦٦ ـ ٦٩

سادسا : الحكمة من ارسال الرسل :

أما الحكمة فقد بينها الله تعالى بقوله :

" رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ". (١)

وبقوله تعالى : " وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ". (٢)

وبقوله تعالى : " ولو أنا أهلكنا هم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ". (٣)

فهى لقطع أعذار الناس فلا تكون لهم حجة على الله بعد ارساله رسله.

سابعا : الهدف من ارسال الرسل:

أما الهدف من الرسل فهو :

١- تبشير الناس بما يترتب على امتثالهم دعوة الرسل والعمل بما جاء فيها فلهم ثواب دائم ونعيم مقيم فى جنات عرضها السموات والارض ، وكذلك انذارهم لو خالفوا بالعذاب الدائم والخلود فى النار . ففى التبشير :

" قال تعالى : وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ". (٤)

(١) سورة النساء آية ١٦٥ (٢) سورة الاسراء اية ١٥
(٣) سورة طه اية ١٣٤ (٤) سورة البقرة آية ٢٥

وفى الترهيب والوعيد قال تعالى :
" والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "(١)

٢ــ تبصير الناس بدينهم وارشادهم الى ما تجب عليهم معرفته نحو الله خالقهم ورازقهم ــ ما يجب له سبحانه وتعالى وما يجوز وما يستحيل ومثله فى حق الرسل الكرام ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين "(٢) قال تعالى " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "(٣)

٣ــ ارشاد المسترشدين وافحام المعاندين فلا يكون لهم حجه على الله بعد الرسل .

٤ــ توجيه الناس الى الأخلاق الكريمه وحثهم على اتباعها .
لذلك قال عليه الصلاه والسلام " الاسلام حسن الخلق وقد جمع الله مكارم الاخلاق فى قوله تعالى : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)(٤)

---

(١) سورة البقرة آيه ٣٩
(٢) رساله التوحيد للامام محمد عبده ط الثانية دار المعارف بمصر صــ ١١٣
(٣) سورة الاخلاص
(٤) سورة الاعراف آيه ١٩٩ .

ثامنا : الصفات الواجبة للرسل :

لما كانت وظيفة الرسل تبليغهم دعوة ما أمروا بتبليغه الى قومهم وكان ذلك يستدعى بالضرورة التقائهم بالمجتمع. ولما كانوا قدوة لقومهم في سلوكهم وأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم وجب لذلك أن يكونوا متصفين بصفات خلقية وخلقية.

وأما صفاتهم الخلقية فهي أن يكونوا كاملى الخلقة حسنى الصورة مبرئين من العيوب والنقائص الخلقية والامراض التي تنفر منها الطبائع البشرية فلا يصيبهم عمى ولا عرج ولا شلل ولا مرض عقلى ولا بكم ولا صمم ولا برص ولا جزام لأن ذلك يقتضى النفرة منهم وعدم قبول دعوتهم.

وأما صفاتهم الخلقية فهى أن يتصفوا بكل طيب من الاقوال والاعمال صفة لهم لاننا مأمورون بالاقتداء بهم فلوا اتصفوا بضد ذلك لكان ذلك طيبا وقبيحا وهذا باطل.

لذلك وجب اتصافهم بالصدق والفطانة والأمانة والتبليغ.

أولا : الصدق:

" صدق النية والارادة .. صدق القول والعمل بحيث يستحيل أن يتصف المؤهل للنبوة بضد الصدق "(١)

---

(١) عقيدة المؤمن . أبو بكر جابر الجزائرى دار الكتب السلفية ص ٢١١

هذه الصفة ملازمه للنبوة وهى وان كانت ضرورية للبشر جميعا الا أنها بالنسبه لدعوة الانبياء صفة لازمه بل هى من الصفات الفطرية فيهم فلا يمكن للنبى - رأى نبى كان - أن يصدر منه ما يخل بالمروءة كالكذب والخيانه وغيرها من الصفات القبيحة لأن هذه الصفات لا تليق برجل عادى فكيف بنبى مقرب أو رسول مكرم؟

وقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يسمى بالصادق الأمين حتى على ألسنه المشركين فحين سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب - قبل اسلامه - عن أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - وكان السؤال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : ما عرفنا عليه كذبا قط . فأجابه هرقل بجواب عظيم " ماكان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله " .

وهناك أدلة نقليه وعقلية على وجوب اتصاف الرسل بالصدق منها :

أولا : الدليل النقلى :

قال تعالى : " وصدق الله ورسوله " . (١)

وقال تعالى : " وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى " (٢)

---

(١) سورة الاحزاب آيه ٢٢ (٢) سورة النجم آيه ٣ - ٤

الدليل العقلى :

١ ـ لو لم يصدقوا للزم الكذب فى خبره تعالى ، لأنه صدقهم بالمعجزات وتصديق الكاذب كذب ، والكذب محال على الله تعالى "ولأن الله تعالى صدق رسله بتأييدهم بالمعجزات فان المعجزة التى يظهرها الله تعالى على أيدى رسله منزله قول الله تعالى للمرسل اليهم : ان رسولى صادق فى قوله بدليل تأييدى له بالمعجزة التى لا يقدر عليها أحد سواى "(١)

٢ ـ الكذب معصية وهم معصومون منها .

٣ ـ لو كذبوا لما وثق الناس بهم فتضيع فائدة الرسالة .

اذن يجب اتصافهم بالصدق فى الأقوال والأفعال .

ثانيا : الفطانة :

والفطانة هى الذكاء ورجاحة العقل وحسن البديهة وجب أن يتصف بها الرسل والأنبياء حتى يمكنهم أن يدافعوا عن دعوتهم باقامة الحجج والبراهين عليها ورد شبه الخصوم بما يقنعهم ويردهم الى الصواب .

---

(١) تبسيط العقائد الاسلاميه . حسن أيوب . دار الندوه الجديدة بيروت ص ١٣٩

فلم يبعث أحد من الانبياء الا وكان على جانب عظيم من الذكاء وكمال العقل ورشده وفى هذا يقول تعالى :
" ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين "(١)

الدليل النقلى : على وجوب اتصافهم بالفطانة ، قال تعالى : " وجادلهم بالتى هى أحسن "(٢)

الدليل العقلى عليها : ان الرسل جميعا قد ارسلوا الى البشر ليبينوا لهم العقائد الحقة والشرائع الصحيحة ، وهذا كله يعتمد على اقامة الحجج والبراهين على اثبات دعواهم وابطال شبه المعاندين فيجب أن يتصف الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بالذكاء وسرعة البديهة لكي يستطيعوا أن يدافعوا عن الحق الذى جاءوا به فلو لم يتصفوا بالفطانة لما استطاعوا أن يؤدوا المهمة التى أرسلوا من أجلها فيكون ارسالهم عبثا والعبث محال على الله تعالى . كما أن عكس الفطانة البلادة ولو اتصفوا بها لكانوا ناقصين وهذا النقص لا يتفق مع المكانة التى اختارهم الله من أجلها)(٣)

---

(١) سورة الانبياء آية ٥١
(٢) سورة النحل آية ١٢٥
(٣) تبسيط العقائد الاسلامية . حسن أيوب بيروت ص ١٤١ بتصرف .

ثالثا : الأمانة "العصمة":

معنى العصمة في اللغة هو المنع يقال عصمه عن القتال أي منعته عنه. قال القرطبي : سميت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية.

أما في الشرع فالعصمة هي : حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي وارتكاب المحرمات.

اذن فالعصمة حفظ الظاهر والباطن من التلبس بمعصية. فرسل الله وأنبياؤه محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والسرقة والكذب وأمثال ذلك من المشتهيات، كما أنهم محفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وأمثال ذلك.

والدليل النقلي على عصمة الرسل. قال تعالى :
"أني لكم رسول أمين" (١)

وقال تعالى : "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين" (٢)

وقال تعالى : " أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده" (٣)

---

(١) سورة الشعراء آية ١٢٥ (٢) سورة الانبياء آيه ٧٢
(٣) سورة الانعام آيه ٩٠

وقال تعالى : " انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين "(١)

فهذه الآيات توضح لنا أنهم كانوا نتاج التربية الالهية حيث تولى سبحانه وتعالى تربيتهم وتأديبهم وتهذيبهم حتى كانوا أهلا للرسالة التى بعثوا من أجلها ولذلك قال الله تعالى لرسوله الكريم " وانك لعلى خلق عظيم "(٢)

وقال عليه الصلاة والسلام " أدبنى ربى فأحسن تأديبى " فالرسل جميعا يعرفون ذلك ويدركون تميزهم هذا لذلك تستقيم جوارحهم وتمتلىء قلوبهم بالايمان والحب والطاعة لله تعالى فلا يوجد لديهم مكان لشيطان يعبث بهم ويبعدهم عن خالقهم وينسيهم الرساله المبعوثون من أجلها .

أما الدليل العقلى على اتصافهم بالعصمة أن الله تعالى أمرنا باتباعهم والاقتداء بهم والسير على منهجهم فهم القدوة الحسنة فلو جاز وقوعهم فى المعصية أو ارتكابهم للاثام والشرور لأصبحت المعصية مشروعة .

قال تعالى : " لقد كان فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ".(٣)

اذن فكيف يأمرنا الله تعالى باتباعهم والاقتداء بهم

---

(١) سورة الانبياء آيه ٩٠ (٢) سورة القلم آيه ٤
(٣) سورة الممتحنه آيه ٦

مع صدور المحرمات والمعاصي منهم ... فالله تعالى لا يأمر باتباع الخائنين فانتفت الخيانة وثبتت الامانة .

ويمكن أن نفسر هذا الدليل العقلي بقولنا أن الله تعالى قال : "واتبعوه لعلكم تهتدون".(١)

فاذا جاز وقوعهم في المعصية فكأن الله تعالى أمرنا باتباعهم في ارتكاب المعصية والوقوع في الآثام وهذا محال على الله تعالى لان الله تعالى لا يأمر بالشرور والفجور قال تعالى : " ان الله لا يأمر بالفحشاء".(٢)

كذلك نقول كيف يجوز أن يكون نبيا ويكون سارقا أو زانيا أو شارب خمر أو غير ذلك من النجاسات والشرور التي تمنع من الاقتداء به واتباعه؟ وكيف يكون لكلام النبي وتوجيهاته أثر في نفوس الناس اذا كانت حياته ملوثة بالذنوب والآثام؟

" هذا ويستدل الامام فخر الدين الرازي على وجوب عصمة الانبياء بعدة أدلة نختار بعض منها . يقول : والذي نقوله أن الانبياء - عليهم السلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد أما على سبيل السهو فجائز .

ويدل على وجوب العصمة وجوه :

- الحجة الاولى : لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق

---

(١) سورة الاعراف آيه ١٥٨ (٢) سورة الاعراف آيه ٢٨

الذم عاجلا والعقاب آجلا أشد من حال عصاه الامه • وهذا باطل بيان الملازمه : ان أعظم نعم اللـه على العباد اعطاؤهم نعمه الرساله والنبوه • وكل من كانت نعم الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب عنه أفحش • وصريح العقل يدل عليه ثم يؤكده من النقل وجوه :

أحدها : قوله " يا نساء النبى لستن كأحد من النساء • ان اتقيتن "(١) " من يأت منكم بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على اللـه يسيرا "(٢)

وثانيهما : أن المحصن يرجم وغيره يجلد

والثالث : أن العبد يحد نصف حد الحر •

فثبت بما ذكرنا : أنه لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم فى استحقاق الذم العاجل والعقاب الآجل فوق حال جميع عصاه الامه الا أن هذا باطل بالاجماع • فان أحد لا يجوز أن يقول الرسول أخس حالا عند الله تعالى وأقل مرتبه ومنزله من كل واحد من اللصوص والزناه • وهذا يدل على عدم صدور الذنب عنهم •

الحجة الثانية : لو صدر عنهم الذنب لما كانوا مقبولى الشهاده لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهاله • فتصبحوا على ما فعلتم

(١) سورة الاحزاب آيه ٣٢ (٢) سورة الاحزاب آيه ٣٠

نادمين " (١)

أمرنا بالتثبيت والتوقف وقبول شهادة الفاسق الا أن هذا باطل . فان لم تقبل شهادته في الحياة كيف تقبل شهادته في الاديان الثابته الى يوم القيامة .

وأيضا . فان الله تعالى شهد بأن محمدا صلى الله عليه وسلم وآله وسلم شهيد على الكل يوم القيامة قال تعالى " لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " (٢) ومن كان شهيدا لجميع الرسل يوم القيامه كيف يكون بحال لاتقبل شهادته في الحياة ؟

الحجة الثالثة : لو صدرت المعصيه عن الانبياء عليهم السلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب جهنم لقوله تعالى : " ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم " (٣) ولكانوا ملعونين لقوله تعالى " ألا لعنة الله على الظالمين " (٤) وباجماع الامه هذا باطل . فكان صدور المعصيه عنهم باطلا .

الحجة الرابعة : أنهم كانوا يأمرون بفعل الطاعات وترك المعاصي فلو تركوا الطاعه وفعلوا المعاصي لدخلوا تحت

---

(١) سورة الحجرات آيه ٦ (٢) سورة البقرة آيه ١٤٣

(٣) سورة الجن آيه ٢٣ (٤) سورة هود آيه ١٨

قوله تعالى: " لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون "(١)

وتحت قوله تعالى " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ؟ أفلا تعقلون "(٢) ومعلوم أن هذا في غاية القبح وأيضا : أخبر الله عن رسوله شعيب ببراءة نفسه عن ذلك ، فقال : " وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه "(٣)

ونكتفي بهذا القدر من الادلة التي استدل بها الامام الفخر الرازي على وجوب العصمة للانبياء "(٤) هذا وقد ورد في القرآن الكريم وفي بعض الاحاديث ما يوهم صدور الذنب والمخلص من ذلك أنه ان وجد محمل قريب لتأويل ذلك حمل عليه والا قيل ان ذلك كان منهم قبل البعثة وهذا في القرآن والحديث المتواتر أما اذا كان الحديث آحادا فانه يجب رده ، لأن نسبة الخطأ الى الرواة أهون من نسبة الذنب الى الرسول .

---

(١) سورة الصف الآيات ٢ ـ ٣ (٢) سورة البقرة آية ٤٤
(٣) سورة هود آية ٨٨ (٤)
(٤) الاربعين في أصول الدين الامام فخر الدين الرازي .
مكتبة الكليات الازهرية جـ ٢ ص ١١٧ : ١١٩

رابعا : التبليـــغ :

كان الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الواسطة بين الله وبيـن البشر فكانت المهمة الأساسية التى بعثوا من أجلهـا هـــى تبليـغ الرسالة التى أمرهم الله سبحانه وتعالـى بتبليغها ... فالتبليـــغ هو عبـارة عن اخبـار الناس والأحكام والشرائـع التـى أمر الله سبحانه وتعالـى أنبياءه بتوصيلها الـى خلقه من البشر.(١)

الدليـل النقلـى :

قال تعالـى : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك مـــن ربك. وان لم تفعل فما بلغت رسالته. والله يعصمك من النـاس.(٢) وقال تعالى: " ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهـــدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتـاب أولئـك يلعنهم الله ويلعنهـم اللاعنون ".(٣)

لذلك التزم كل رسول اختاره الله لقوم التبليغ فى دقـــة وأمانة كما أرادها الله له دون أن ينقص حرفا أو يخفى شيئا مـــا نزل عليه.

---

(١) عقيدة المؤمن أبو بكر جابر الجزائرى دار الكتب السلفية ص ٢١١
(٢) سورة المائدة آية ٦٧
(٣) سورة البقرة آيه ١٥٩

فهذا نوح عليه السلام " قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين . ابلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ". (١)

أما الغرض من التبليغ فهو أن يقطع الله الحجة على الناس ولئلا يبقى لأحد عذر يوم القيامة . فان الله سبحانه وتعالى أكرم من أن يعذب انسانا قبل أن يبلغه الرسالة وأرحم من أن يعذبه بدون ذنب وصدق الله العظيم حيث يقول :

" وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ". (٢)

وقال تعالى : " وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ". (٣)

الدليل العقلي :

لو لم يكن الرسل مبلغين لكانوا كاتمين لما أمروا بتبليغه ولو كانوا كذلك لكانوا كاتمين للعلم وكاتم العلم ملعون عند الله تعالى لأن كتمان العلم باطل .

---

(١) سورة الاعراف آية ٦١ : ٦٢
(٢) سورة الاسراء آية ١٥
(٣) سورة القصص آية ٥٩

كذلك قال حسن أيوب :

" أنهم لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل فكتمانهم شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق يكون باطلا فثبت لهم التبليغ واستحال عليهم الكتمان لشيء مما أمروا بتبليغه" (١)

---

(١) تبسيط العقائد الاسلاميه . حسن أيوب بيروت ص ١٤١

المبحث الثانــي : المعجـــــــــزة

أولا : تعريف المعجــزة .

ثانيا : شـــروط المعجزة .

ثالثا : معجزات الرســول صلى الله عليه وســــلم .

رابعا : وجه دلالة الخارق على صدق الرســـول .

المبحث الثاني

المعجزة

١ ـ تعريف المعجزة :

المعجزة لغة : هي مشتقة من الاعجاز لأنها توضح عجز الغير عن الاتيان بمثلها .(١)

واصطلاحا : هي الأمر الخارق للعادة الذي قصد به اظهار صدق مدعي الرسالة .(٢)

" وذهب الأشاعره من أهل السنه الى أن المعجزة أمر خارق للعاده ، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة أو الرساله تصديقا له في دعواه مقرون بالتحدي مع عدم المعارضه أي مع عجز الناس عن الاتيان بمثله وأن يكون موافقا لدعوى النبي وأن يكون في زمن التكليف ".(٣)

---

(١) شرح الأصول الخمسه للقاضي عبد الجبار ص ٥٦٨ ، الارشاد للجويني ص ٢٦٠، ٢٦١

(٢) المواقف . لعضد الله والدين القاضي عبد الرحمن ابن أحمد الايجي . عالم الكتب بيروت ص ٣٣٩ ، شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني جـ ٥ ص ١١

(٣) أصول الدين للبغدادي ص ١٧٠ ، المقاصد للتفتازاني جـ ٢ ص ١٧٦

٢ ـ شـروطها :

١ ـ أن يكون ذلك الخارق فعلا للـه تعالـى لأنّ التصديـق منه تعالى فلا يكون الخارق من فعل غيره.

٢ ـ أن تكون المعجـزة خارقة للعادة فلو قال المدعـي معجـزتي طلوع الشمس غدا أو ظهـور الأزهار فـي الربيع لم يكن ذلك معجزا .

٣ ـ أن يتعذر معارضته لأنّ ذلك معنى الاعجاز .

٤ ـ أن يكـون ذلك من مدعي النبـوة.

٥ ـ أن يكون الخارق موافقا لطلب الرسول ودعواه. فاذا قال معجزتي احيـاء هذا الميت فظهـر خارق آخر لم يكـن ذلك معجـزا .

٦ ـ ألا يكذبه الخارق فاذا قال معجزتي نطق هذا الضب فنطق بأنه كـذاب لم يكن معجـزا . بخلاف ما لو قال معجـزتي احيـاء هذا الضب فحي ثم نطق بأنه كذاب. فـإن الاحيـاء هو المعجـز ولا يمكن أن ينطق بأنه كـذاب وأمـا لو قال معجزتي احياء هذا الميـت الانسان فحي ثـم نطق بأنه كـذاب فانه يكون معجزا لأن الخارق الـذي طلبـه هو الاحيـاء أما التكذيب بعد الاحيـاء فـلا يقدح فـي الاعجـاز لأنّ الانسان مختار في التصديـق أو التكذيـب.

٧ ـ أن يكون الخارق مقارنا للدعوى فـلا يكون قبلها ولو بيسيـر فان قال معجـزتي ما حصل مني من الخوارق قبـل بعثتي فلا يصـدق ويطالـب بالاتيان بخارق جـديد فان أتى به صـدق والا تعين كذبه.(١)

٣ـ معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :

أولا : القرآن الكريم معجزة النبى الخالدة :

للرسل السابقين معجزات انتهت بانتهائهم ... اما معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فانها باقيـة ما بقى الدهر وهى القرآن الكريم ... الذى حفظه الله من التحريف والتبديل ، فقال تعالى : "انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" (٢)

وهو الذى تحدى به العرب وهم فرسان البلاغة والفصاحة فلم يقدروا على معارضته حتى أنهم كانوا يصمون آذانهم خوفا من أن يسحروا به.. تحداهم أولا بمثله فعجزوا ثم بعشر سور فلم يقدروا . ثم بسوره من مثله فعجزوا . ولو قدروا على شىء منه لاغناهم ذلك عن اضطهاد الرسول وأصحابه ثم تعرضهم أنفسهم وأموالهم للضياع بالقتال . وفى ذلك يقول القاضى عبد الجبار : "وأما ترك العرب معارضه القرآن وعدولهم عنه الى المقاتله فظاهر أيضا فانهم حين أصدروا من أنفسهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن تركوه الى المقاتله وذلك يؤذن بعجزهم عن ذلك والا فالعاقل اذا امكنه دفع خصمه بأيسر الامرين لا يعدل عنه الى أصعبهما . فان قيل : ومن أين أنهم تركوا المعارضه ولم يعارضوه ألبته؟ قيل له : انهم لو عارضوه لكان يجب أن ينقل الينا معارضتهم" (٣)

ان هؤلاء العرب الذين ملكوا زمام البلاغة حتى كانت من مفاخرهم لم يعهدوا مثل هذا القرآن فى أسلوبه العجيب

(١) المواقف لعضد الدين القاضى عبد الرحمن الا يجى عالم الكتب بيروت ص ٣٣٩، ٣٤٠ الارشاد للامام الجوينى ص ٢٦١: ٢٦٦
(٢) سورة الحجرات آيه ٩
(٣) شرح الاصول الخمسه للقاضى عبد الجبار ص ٥٨٨

وتأليفه المنظم المنسق حتى قالوا والله ان فيه لحلاوه وان عليه لطلاوه وان أعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق . عرضوه على المنظوم من أشعارهم والمنثور من كلامهم فوجدوه قد فاق ذلك بل فاق معلقاتهم والتى حازت الجوائز منهم . نعم هذا هو القرآن الكريم الذى أعطاه الله معجزة لرسوله دالة على صدقه فى رسالته . (١)

من وجوه الاعجاز للقرآن الكريم :

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف شيئا من قصص المتقدمين وأنباءهم ثم أتى بهذا الكتاب العظيم البليغ الذى يحمل ماحدث من عظيمات الأمور من حين خلق الله آدم عليه السلام الى وقت مبعثه .

٢- ومن وجوه الاعجاز التى اشتمل عليها القرآن اخباره بالغيب قال تعالى : " ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض . وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . " (٢)

٣- أيضا من وجوه اعجازه التى اشتمل عليها إخباره بالفتح القريب للمسلمين ثم كان كما أخبر . قال تعالى :

" لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة . فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها . وكان الله عزيزا حكيما . " (٣)

---

(١) محاضرات فى التوحيد . الشيخ صالح موسى شرف ط الخامسة دار الطباعه المحمدية ص ٦٧
(٢) سورة الروم آيه ١ (٣) سورة الفتح آيه ١٨

٤ـ أن القرآن الكريم محفوظ ومصان لم يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . قال تعالى مبينا تعهده بحفظه وصيانته :

" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (١)

وقال تعالى مبينا عدم تعرضه للتحريف والتبديل أو الضياع والنسيان

" لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد " (٢)

٥ـ أنه كتاب كل زمان وكل مكان فدعوته الى العلم منذ أربعة عشر قرنا واثباته كثيرا من اللمحات العلمية وتقديره للعلم والعلماء لهو معجز فى ذاته فالدعوة الى العلم وفيه أول مادة دستورية الهية نزلت تحارب الامية الجاهلية وترفع من شأن العلم . قال تعالى :

"اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . " (٣)

وقد أقسم الله تعالى بالقلم تشريفا له وتعظيما لقدره وأثره قال تعالى :

" ن والقلم وما يسطرون " (٤)

ورفع من شأن العلم والعلماء فقال تعالى :

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " (٥)

كما جعل القرآن العلماء أهل خشية الله تعالى . قال تعالى :

" انما يخشى الله من عباده العلماء " (٦)

---

(١) سورة الحجر آية "٩" (٢) سورة فصلت آية "٤٢"

(٣) سورة العلق (٤) سورة القلم الآية الأولى

(٥) سورة المجادلة آية "١١" (٦) سورة فاطر آية "٢٨"

٦- أيضا من وجوه اعجازه هو بلوغه أقصى درجات البلاغة فان من تتبع القرآن الكريم من العارفين بالبلاغة وجد فيه فنونا كثيرة من فنون البلاغة من افادة المعانى الكثيرة باللفظ القليل وأنواع التشبيه والاستعارة . كل ذلك حسب ما يقتضيه المقام كذلك لا يوجد فيه اللفظ الركيك وبالجملة فالقرآن قد اشتمل على جميع فنون البلاغة لم يترك منها شيئا حتى كان فى الدرجة القصوى منها ولا يقدر أحد البلغاء أن يحاكيه فى ذلك ولو بذل جهد طاقته .

وكل من كان أعرف باللغة العربية كان أحرى بأن يعرف اعجاز القرآن لأنه لا يعرف الفضل الا أهله .

٧- أيضا من وجوه اعجازه عدم اختلافه وتناقضه مع طوله وامتداده قال تعالى : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " (١)(٢)

فالقرآن الكريم اذن هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة الباقية والتى تثبت الرسالة له وتدفع عنها شك المتشككين ولكنه ليس المعجزة الوحيدة لرسول الله ... فله صلى الله عليه وسلم معجزات أخرى ذكرت فى القرآن الكريم وتؤيد دعواه الرسالة .

ثانيا : معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التى وردت فى القرآن الكريم :

الاول - معجزة انشقاق القمر حيث وردت فى القرآن الكريم . قال تعالى :
" اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " (٣)

---

(١) سورة النساء آية "٨٢"
(٢) المواقف لعضد الدين القاضى عبد الرحمن الايجى عالم الكتب . بيروت ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ بتصرف
(٣) سورة القمر الآية الاولى .

الثانــي : كـلام الجمادات «قال أنس : كنا عند رســـول الله صلى الله عليه وسلم فأخذكفا من حصى فسبحـن في يـده حتى سمعنا التسبيح وقال جعفر ابـــن محمد الصادق عن أبيـه : أنه مرضى رسو ل اللـه صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل عليه الســلام بطبق فيه رمان وعنب فسبح ذلك العنب والرمان» ولما دعا للعباس وأهله أمن له أسكفه البــاب وحيــطان البيت «ولما طلب الاعرابى منـــه الشاهد على نبوته دعا الشجـره وهى على شط الوادى فأقبلت تخـد الارض خد حتى قامت بيـــن يديـه وشهدت له بالنبوه ورجعت الى منبتهـا وكـلام الذراع المسمومـه مشهور .

الثالث : كـلام الحيوانات العجم : شهد له الـذئب بالنبوه والظبيه التى ربطها الاعرابــى سألتـه الاطـلاق لترضـع وضمنت الرجوع فرجعت ثـم سأل الاعرابى أن يطلقها فأطلقها فانطلقت وهــى تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول اللـــه وشهدت الناقه ببراءه صاحبهـا من السرقـــه .

الرابع : حادث الاسـراء وقد وضحه القرآن الكريم . فقال تعالى :

" سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا . انه هو السميع البصير "(١)

الخامس : حنين جذع النخلة . فقد روى البخارى بسنده عن نافع عن ابن عمر رضى اللـه عنهما :

" كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع . فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه "(٢) .

السادس : نبع الماء من بين أصابعه . فعن سالم بن أبى الجعد عن جابر رضى الله عنه قال :

" عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يتفجر من بين أصابعه كأمثال العيون "(٣)

السابع : تكثير الطعام . فعن سلمة بن الأكوع قال : أصابت الناس مع النبى صلى الله عليه وسلم مخمصة فى بعض مغازيه . فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذى أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع . قال سلمة فقدرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقى فى الجيش وعاء الا ملؤوه وبقى منه(٤) (٥) .

---

(١) سوره الاسراء الآيه الاولى

(٢) رواه البخارى

(٣)

(٤)

(٥) المواقف لعد الدين القاضى عبد الرحمن الايجى عالم الكتب . بيروت ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، احياء علوم الدين للغزالى جـ١ ص ١١٩

ثالثا : وجه دلالة الخارق على صدق الرسول :

اختلف المتكلمون فى كيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ٠ فمن قائل انها دلالة سمعية ٠٠ ومن قائل انها عادية ٠ ومن قائل انها عقلية ٠٠ ومن قائل انها قطعية ٠

فهذه أربعة آراء :

أما القائل بأنها سمعية فحجته :

أن اعطاء الله هذا المعجز للرسول منزل منزلة قوله تعالى :

" صدق عبدى فيما يبلغ عنى " ودلالة هذا القول سمعية ٠

ونوقش هذا الرأى :

بأن تصديق هذا القول منوقف على اثبات النبوة ٠٠ فلو كان طريق هذا الاثبات هو هذا القول لكان فى ذلك الدور وهو توقف كل على الآخر والدور باطل ٠

أما القائل بأنها عقلية فحجته :

أن دلالة هذا الخارق على صدق الرسول كدلالة الأثر على المؤثر وكدلالة اتقان العمل على أن فاعله عالم بأصول صنعته ٠ فالله سبحانه حينما أعطى هذا الخارق للرسول دل ذلك عقلا على صدقه لأنه مستحيل عليه تعالى أن يصدق الكاذب ٠

ونوقش هذا الرأى :

بأن الدلالة العقلية لا يختلف فيها المدلول عن الدال ٠ فكلما حصل الدال حصل المدلول وليس كذلك الخارق فانه قد يوجد ولا يدل على صدق الرسول لأنه قد يحصل من الولى وقد يحصل هذا الخارق عند قيام الساعة ولا رسول هناك فعند قيام الساعة تحصل الخوارق مثل

طى السماء والأرض وغير ذلك .

ويجاب عن ذلك :

بأن الدال هنا ليس مجرد الخارق بل هو مع دعوى الرسالة ولا شك أنه كلما حصل الخارق المقرون بدعوى الرسالة حصل صدق الرسول وهذا حق .

وأما القائل بأن الدلالة عادية فحجته :

أنه يمكن عقلا أن يعطى الله الخارق للكاذب ولكنه منتف عادة وان من قال أنا رسول وآية صدقى ارتفاع هذا الجبل فوقكم . فاذا صدقتمونى لم يسقط عليكم واذا كذبتمونى سقط عليكم . فكلما هموا بتصديقه ارتفع عنهم واذا هموا بتكذيبه قرب منهم فاذا حصل ذلك علم صدقه عادة فى دعواه لأن العادة قاضية بأن ذلك لا يحصل من الكاذب وان كان ممكنا عقلا لشمول قدرته تعالى لذلك .

أما القائل بأن الدلالة قطعية فحجته :

أن خلق المعجز على يد الكاذب محال على الله تعالى وأن دلالة الخارق على صدق الرسول قطعية لا تختلف .

ونوقش هذا الرأى :

بأنه لا معنى للدلالة العقلية الا هذا الذى قلتم .

والحق بعد هذا أنها دلالة عقلية وأن اعطاء المعجز للكاذب محال على الله وممتنع الوقوع عقلا .(١)

---

(١) محاضرات فى مادة التوحيد فضيلة الشيخ صالح موسى شرف ص ١٠ : ١٢

أنواع الخارق للعادة :

الخارق للعادة له أنواع متعددة منها :

١ـ المعجزة : وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة ٠

٢ـ الكرامة : وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد صالح غير مدعي للنبوة ٠

٣ـ المعونة : وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد بعض العوام تخليصا لهم من شدة ٠

٤ـ الاهانة : وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدعي النبوة على خلاف مطلبه ٠

٥ـ الاستدراج :أمر خارق للعادة يظهره الله على يد فاسق مدعي للألوهية خديعة ومكرا به ٠

٦ـ الارهاص : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي قبل بعثته تمهيدا وتأسيسا لنبوته كتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم ٠

٧ ـ السحر : قواعد يقتدر بها على افعال غريبه بالنظر لمن جهل قواعده ويمكن اكتسابه بالتعلم ٠ وقيل هو اظهار أمر خارق للعاده من نفس شريره خبيثه بمباشره أعمال مخصوصه يجرى فيها التعليم والتتلمذ وبهذين الاعتبارين يفارق المعجزه والكرامه(١)

٨ ـ الشعوذه: خفه في اليد بوساطتها يرى الشخص أشياء على أنها حقيقيه وليست كذلك في الواقع كما يفعل الحواه ٠

---

(١) شرح المقاصد ٠ للامام سعد الدين التفتازاني ج٥ ص٧٩

٩ ــ غرائب المخترعـــات : هى الناشئـة عن معرفـــه بعض خصائـــص الماد ،وأســرار الكــــون كالاختراعات الحديثه من راديو وتليفزيون وسفن الفضـــاء وغيرها .(١)

أقسام المعجـزة :

تنقســم المعجزة الـى :

١ــ فعل : كأن يصدر عنه مالا يقع فى استطاعة غيره مؤيد بقـــدرة السماء كانقلاب العصا حية على يد موسى واحيـــــاء الموتى على يـد عيســى عليهما الســـــلام وتكثير الطعام على يد النبى صلى اللـه عليه وسلم .

٢ــ ترك : كعدم احراق النار لابراهيم عليـه السلام .

٣ــ قول : كالقرآن والاخبار بالمغيبـــات .

(١) شرح المقاصد للامـام سعد الدين التفتازانـى ج ٥ص ٧٣ تبسيط العقائد الاسلاميه . حسن أيوب ص ١٤٥، ١٤٦

المبحث الثالث : الوحـــــــــى

أولا : تعريفه فى اللغـــة والشـــــرع ٠

ثانيا : أنـــواع الوحــــــى ٠

ثالثا : مراتب الوحى للرسول صلى الله علية وســـــلم ٠

رابعا : امكا ن الوحـــــى

خامسا : الد ليل على وقوع الوحى

المبحث الثالث

الوحى

الوحى هو العلاقة والصلة بين الله تعالى وبين رسله وأنبيائه فالوحى هو الموصل للأخبار والحكم والشرائع التى يريد الله تعالى أن يوصلها للناس عن طريق الأنبياء والرسل (١). قال تعالى :

" إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده (٢)

وقال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون . " (٣)

تعريف الوحى لغة :

هو الاعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره ومنه الالهام الغريزى كالوحى الى النحل كقوله تعالى :

" وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ." (٤)

ومنه الهام الخواطر بما يلقيه الله فى روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحى الى أم موسى . قال تعالى :

" وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه . فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى . انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ." (٥)

ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان . قال تعالى :

(١) تبسيط العقائد الاسلامية . حسن أيوب ص ١٧١
(٢) سورة النساء آية ١٦٣ (٣) سورة الانبياء آية ٢٥
(٤) سورة النحل آية ٦٨ (٥) سورة القصص آية ٧

" وأن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم "(١)

ووحى الله العلى القدير الى أنبيائه قد روعى فيه المعنيان الاصليان لهذه المادة وهما : الخفاء والسرعة .

تعريف الوحى شرعا :

أنه اعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى أو هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة .(٢)

وهذا التعريف يشمل أنواع الوحى الثلاثة الواردة فى القرآن الكريم .

أنواع الوحى :

للوحى بين الله وأنبيائه أنواع ثلاثة هى :

١ ــ ما كان بلا واسطة وذلك بالالقاء فى القلب يقظة أو مناما والمراد به الالهام " وفيه يعد الله تعالى قلب العبد اعدادا خاصا بصفيته من الكدورات والرعونات النفسيه ثم يلقى الى صاحبه بكلماته التى أراد أن يوحى بها اليه فيتلقاها ذو القلب الطاهر وهو النبى من أنبياء الله تعالى ويعيها وعيا كاملا صحيحا وهو جازم بأنها كلام الله تعالى ووحيه اليه وذلك لما يجد فى نفسه من ضرورة تحتم عليه ذلك وتضطره اليه أكثر من ضرورة معرفة أحدنا بوجوده انسانا

---

(١) سورة الانعام آيه ١٢١

(٢) رساله التوحيد للامام محمد عبده دار المعارف بمصر ط الثانية .

حيا بين الناس.»(١) قال صلى الله عليه وسلم " ان روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب". وهذا الالهام في اليقظة.

قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام:

"أني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى"(٢)

ومن هذا النوع ما كان له صلى الله عليه وسلم في الاسراء والمعراج.

" وهذا هو الوحي المباشر بين الله وعبده.

٢ ـ ماكان بواسطة لسماع الكلام الالهي أي من وراء حجاب ومن هذا النوع ما كان لموسى عليه السلام " حيث ناداه الله تعالى بالواد المقدس طوى وأوحى اليه من وراء حجاب".

٣ ـ ماكان بواسطة ارسال ملك يرى صورته المعينة ويسمع كلامه كجبريل عليه السلام فيوحي الى النبي ما أمره الله أن يوحيه اليه.

اذن فالوحي قد يكون القاء المعنى في القلب وقد يعبر عنه بالنفث في الروع. أو الكلام من وراء حجاب بحيث يسمع كلام الله من حيث لا يراه كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة.(٣)

---

(١) عقيدة المؤمن أبو بكر جابر الجزائري ص ٢٠٥
(٢) سورة الصافات آيه ١٠٢
(٣)

وأما الثالث فهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله الـــى رسول الله وقد وضحت الآية الكريمة أنواع الوحي الثلاثة . قال تعالى :
" ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجـــــا ب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء . انه عليم حكيم "(١)(٢)

مراتب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم :

١ ـ الرؤيا الصادقة وكانت مبـــدأ وحيه صلى الله عليه وسلـــم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والمدة التـــى كان يوحى اليه في المنام فيها ستة أشهر الى أن استعلن له جبريل . قالت السيدة عائشه رضى الله عنها أول مـــا بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيـــا الصالحـــة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلـــق الصبـــح "(٣)

وقد قال الرسول صلى الله عليـــه وسلم : الرؤيا ثلاثة : رؤيا من الله ، ورؤيا تحذير من الشيطان ، ورؤيا ما يحـدث به الرجل نفسه في اليقظة فيراه في المنام . "(٤)

---

(١) سورة الشورى آية ٥١
(٢) تبسيط العقائـــد الاسلاميه . حسن أيوب ص ١٧٣ .
(٣)
(٤)

والذى هو من أسباب الهداية هو الرؤيا التى تكون من الله خاصة ورؤيا الانبياء وحى فانها معصومة من الشيطان وهذا باتفاق الائمة ولهذا أقدم ابراهيم عليه السلام على ذبح اسماعيل عليه السلام بالرؤيا .

٢ ـ ما كان يلقى فى روعه وقلبه من غير رؤية أو مشاهدة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم " أن روح القدس نفث فى روعى : انه لن تمت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فان ما عند الله لا ينال الى بطاعته ".(١)

٣ ـ كان يتمثل له الملك رجلا فيراه عيانا ويخاطبه حتى يعى عنه ما يقول فقد كان يأتيه أحيانا فى صورة دحية الكلبى وكان جميلا وسيما وفى هذه المرتبة كان يراه الصحابه.

٤ ـ أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه فيلتبس به الملك حتى أن جنبيه ليستفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد وحتى أن راحلته لتبرك به الى الارض اذا كان راكبها ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟

---

(١)

فقال : أحيانا يأتينى مثل صلصة الجرس وهو أشد علــــى فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملـــك رجلا يكلمنى فأعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنهـــا : ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحى فـى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا .(١)

٥ ـ أن يرى الملك فى صورته الحقيقية التى خلق عليها فيوحـــى اليه ما شاء الله أن يوحيـــه .

٦ ـ ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فـــرض الصلاة وغيرها .

٧ ـ كلام الله له منه اليه بلاواسطة وهذه المرتبة ثابتة للرســـول صلى الله عليه وسلم فى حديث الاسراء . وكذلك فان هذه المرتبة ثابتة لموسى بن عمران بنص القرآن .

امكـان الوحـــى :

الوحي ممكن لان العقول لا تجد ما نعا من أن الله يصطفـــى أفرادا يقوى أرواحهم لتلقـى الوحى . وأما امكان حصـــول الوحـــى فمداره علـــى أمرين .

الاول : استعداد نفس النبى لتلقـى الوحى .

---

(١)

الثانى : وجود ملك يبلغ الوحى

أما عن الامر الاول وهو استعداد نفس النبى لتلقى الوحى وعلمه من غير فكر وترتيب مقدمات فلا مانع منه بعد أن علمنا أن مراتب الادراك فى البشر متفاوته وان نفس النبى حفت بأصل فطرته وخصها الله بكمالات هيأتها لعلم حقائق الاشياء من غير أن تتقيد بطريق مألوف فتفهم صوت الملك وتقوى على مشاهده صورته الاصليه.

وأما عن الثانى وهو وجود ملائكه تبلغ الوحى فقد دل عليه الكتاب والسنه الصحيحه"(١)

ويقول الامام محمد عبده " وجب التسليم بأن من النفوس البشريه ما يكون لها من انقاء الجوهر بأصل الفطره ما تستعد به من محض الفيض الالهى لأن تتصل بالافق الاعلى وتنتهى من الانسانية الى الذروه العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها الى تعقله أو تحسسه بعصى الدليل والبرهان وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحا على ما يتلقاه أحدنا عن أساتذه التعاليم ثم تصدر عن ذلك العليم الى تعليم ما علمت ودعوه الناس الى ما حملت على ابلاغه اليهم وأن يكون ذلك سنه الله فى كل أمه وفى كل زمان على حسب الحاجه يظهر برحمته من يختصه بعنايته ليفى للاجتماع بمايضطر اليه من مصلحته الى أن يبلغ النوع الانسانى

---

(١) العقيده الاسلاميه فى ضوء النقل والعقل والقلب د. عبد السلام محمد عبده ط الاولى ص ٣٥٣.

أشد ، وتكون الاعلام التى نصبها لهدايته الى سعادته كافية في ارشاده ، فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة ...

أما وجود بعض الارواح العالية وظهورها لأهل تلك المرتبة السامية فمما لا استحالة فيه بعد ما عرفنا من أنفسنا وأرشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ما هو ألطف من الماده وأن غيب عنا فأى مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشئ من العلم الالهى وأن يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا على الاذعان بصحته (١) .؟

الدليل على وقوع الوحى :

أما دليل وقوع الوحى فهو المعجزات للذين شاهدوها على يدى النبى صلى الله عليه وسلم أو الخبر المتواتر عن الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التى تشهد على صدق وقوع الوحى والتى حفظها المولى جل وعلا الى يوم القيامة قال تعالى : " انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون (٢) " (٣)

---

(١) رسالة التوحيد للامام محمد عبده ط الثانية ص ١٠٦ دار المعارف بمصر .

(٣) سورة الحجر آية ٩

(٣) رسالة التوحيد للامام محمد عبده ص ١١٠ .

المبحث الرابع : الولاية والكرامـــــة

أولا : الولايـة وتعريف الولى ولماذا سـمى بذلك ٠

ثانيا : شـــروط الولى

ثالثا : الكرامة ـ تعريفها ـ حكمها ـ دليل وقوعها ٠
" أنواعهـــا "

المبحث الرابع

الولاية والكرامة

الولاية :

أساس نظرية الولاية هو اختصاص الله سبحانه وتعالى لبعض عباده وتفضيله بعضهم على بعض بما شاء من فضله ٠

فعلى أى أساس تقوم هذه المفاضلة ؟

هل هى فضل ومنه من الله فى اختياره هذا العبد أم هى نتيجة جهد العبد وعمله وطاعته لله ٠

اتجه بعض العلماء ومنهم قدماء المتصوفة الى أنها فضل ومنه من الله على هذا العبد وان كان كلامهم لا يخلو من اشارة الى الجهد والعمل ٠

واتجه البعض الآخر الى أنها نتيجة للاثنين معا الفضل من الله على هذا العبد بالاضافة الى الجهد والعمل المتواصل فى العبادة والطاعة والخشية لله تعالى ٠

ونحن نميل الى الرأى الثانى ولذلك نعرف الولى فنقول

تعريف الولى :

الولى وجمعه أولياء هو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصى بمعنى أنه اذا ارتكب معصية تاب منها لأنه غير معصوم المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات المباحة أى العارف هنا عما سواه ٠(١)

(١) شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازانى جـ ٥ ص ٧٢

ويرجع الباحثون السبب في تسمية الوالي الى:

١ ـ لأنّ الله تولى أمره فلم يكله الى نفسه أو الى غيره لحظة واحدة .

٢ ـ لأنه يتولى عباد الله على الدوام من غير أن يتخللها عصيان بدون توبة .

ولذلك قال اتعالى :

" ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة . لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم "(١)

" وهناك الحديث القدسي الذي يوضح نفس المعنى فعن أبي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ان الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشئ أحب الي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني لأعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه "(٢)

شروط الولي هي :

١ ـ أن يكون عارفا بالله تعالى وبصفاته قدر المستطاع .

٢ ـ أن يكون مواظبا على الطاعات مجتنبا للمعاصي .

---

(١) سورة يونس الآيات ٦٢ : ٦٤ (٢) رواه البخاري

٣ـ أن يكون معرضا عن الانهماك في اللذات والشهوات ولا يتناول منها الا بالقدر الذي يكفي لبقاء حياته وفي غير محرم ".(١)

ولاية الله وولايه العبد والفرق بينهما :

قال تعالى : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ".(٢)

فولايه الله تعالى للعبد هي هدايته الى معرفته والايمان به وطاعته ومحبته ونصره دينه فيعمل العبد بذلك ويقترب به من ربه عز وجل حتى يحبه فاذا أحبه قربه وتولى أموره ونصره وحفظه فكان بذلك وليه.

وقال تعالى " ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياه الدنيا وفي الاخره لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ".(٣)

فولايه العبد لله تعالى هي أن يؤمن به ويطيعه ويتقيه وينصر دينه وأولياءه. وأن يتابع الرسول في كل ما جاء به ودعا اليه من أصول العقائد والعبادات والآداب والاخلاق.

---

(١) العقيدة الاسلاميه في ضوء النقل والعقل والقلب د. عبد السلام محمد عبده ص ٣٩٨

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٧

(٣) سورة يونس الآيات ٦٢ : ٦٤

وأن تظهر روحه وتزكو نفسه بالايمان والعمل الصالح مع الابتعاد عن الشرك والمعاصي وحينئذ يكون أهلا لحب الله ويكون وليا لله تعالى .

أما عن الفرق بين ولايه الله تعالى وبين ولايه العبد لله عز وجل هو أن الله تعالى ليس مفتقرا أو محتاجا للعبد وانما يواليه اكراما له وانعاما عليه لغناه تعالى عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه الله تعالى لأنه الصمد الذي يرجع اليه في الجوائج .

وقد نفى الله تعالى أن يكون له ولي من الذل فقال تعالى: " وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا "(١)

أما العبد فانه يوالي الله تعالى لفقره ولشده حاجته هو الى ربه تعالى اذ هو دائما في حاجه الى نصره ربه ومعونته ومحبته ورضاه واد نائه منه وتقريبه اليه اذ لا يسعد العبد الا في جوار مولاه ولا ينعم الا اذا تعمده ربه برحمته وخلع عليه فضلا منه رضوانه. فاسنده اذا لله تعالى على موالاته لعبده وقبوله وليا . وأما العبد فلا منه له بحال وليس له أن يدل على الله تعالى ولو أذاب نفسه في طاعه الله وأوقف كل حياته عليه وحتى لم يبق له هم ولا هوى سوى الله عز وجل .

---

(١) سورة الاسراء آيه ١١١

هذا هو الفرق بين ولايه الرب تعالى للعبد وبين ولايه العبد للرب سبحانه وتعالى .(١)

تعريف الكرامة :

الكرامه هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعة مصحوبا بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح .(٢)

والفرق بين المعجزة والكرامة هو أن المعجزة مقرونه بدعوى النبوة وتحدى بها ... أما الكرامة فلا يتحدى بها ولا تقترن بدعوى النبوة .

ويقول ابن تيميه " ومن الناس من فرق بين معجزات الانبياء وكرامات الاولياء بفروق ضعيفه مثل قولهم : الكرامه يخفيها صاحبها أو الكرامه لا يتحدى بها . ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها العلاء بين المشى على الماء واظهار عمر مخاطبه ساريه على المنبر واظهار أبي مسلم لما ألقى في النار أنها صارت عليه بردا وسلاما . وهذا بخلاف من يدخلها بالشياطين فانه قد يطفئها الا انها لا تصير عليه بردا وسلاما واطفاء النار مقدور للانس والجن . ومنها ما يتحدى بها صاحبها أن دين الاسلام حق كما فعل خالد

---

(١) عقيدة المؤمن . أبو بكر الجزائري ص ١٣٦
(٢) تيسير الاقتصاد في الاعتقاد د . صالح موسى شرف ص ٦٥
، شرح المقاصد . للامام سعد الدين التفتازاني جـ ٥ ص ٧٢ ، ٧٣ .

ابن الوليد لما شرب السم . وكالغلام الذى أتى الراهب وترك الساحر . وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربه وكان قبل ذلك قد خرقت له العادة . فلم يتمكنوا من قتله . ومثل هذا كثيرا .(١)

وحكم الكرامة:

هى أنها جائزة عقلا لانه لا يلزم من فرض وقوعها محال وقد ورد فى القرآن الكريم قصص كثيرة تدل على وقوعها .

دليل وقوعها :

لقد ذكر فى القرآن الكريم قصة مريم حيث وجد عندها الرزق بلا سبب فالداخل عندها يجد فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف ثم حملها بالمسيح بدون التقائها برجل ...
أيضا ذكر فى القرآن قصة أهل الكهف وهم فتية من أشراف الروم آمنوا بربهم وخافوا على ايمانهم من ظلم ملكهم الكافر . فدخلوا غار ولبثوا فيه ثلاثمائة سنين وتسعا بدون طعام ولا شراب نياما بدون آفة وغيرها كثير من القصص التى ذكرت فى القرآن الكريم والتى تدل على وقوع الكثير من الكرامات .

فالواجب الاعتقاد فى وقوع الكرامة وأنها ممكنة الوقوع .(٢)

ويذكر صاحب شرح المقاصد مخالفة المعتزلة فى الكرامة احتجا بأنها توجب التباس النبى بغيره حيث أن الفارق هو المعجزة .(٣)

---

(١) النبوات لابن تيمية المطبعة السلفية ص ٥
(٢) المواقف لعضد الدين الايجى عالم الكتب بيروت ص ٣٧٠ بتصرف
(٣) شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازانى ج ٥ ص ٧٢ ،
الارشاد للامام الحرمين الجوينى ص ٢٦٦

أنــواع الكرامـــه:

تنقسم الكرامة الى عامه وخاصـة:

فالعامه هى ما كرم الله بـه نبـى آدم وفضلهم به على غيرهـــم من هذه المخلـوقات الارضيه ومن ذلك اعتدال القامه والخلق فى أحسـن تقـويـم والعقل والمنطق وتدبـير المعاش واصلاحـه وتسخير الكون لهم والانتفاع بـه الى غير ذلـك من الافضال والانعـام . قال تعالى: " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم مـن الطيبات وفضلناهم على كثـير ممن خلقنـا تفضيـلا .")(١)

والخاصه وهى أفضلهما : ما يكرم اللـه تعالى بـه بعـض عبـاده من هدايتهم الـى الايمان وتوفيقهم الى طاعته بفعـل المأمورات وترك المنهيات فهذه الاستقامه على الايمـان والطاعـه من أعظم الكرامات وأهلها هم أصحـاب اليمين المذكورون فى قول اللـه تعالى : " وأصحاب اليميـن ما أصحاب اليمن ."(٢) وفى قوله : " وأما ان كان من اصحاب اليمـين فسلام لك من أصحاب اليميـن "(٣) وهم المقتصدون المذكورون فى قوله تعالى : " ثم أورثنا الكتـاب الذين اصطفيـنا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهـم سابـق بالخيرات."(٤)

---

(١) سورة الاسراء ايه ٧٠ (٢) سورة الواقعة آيه ٢٧
(٣) سورة الواقعة الآيات ٩٠، ٩١
(٤) سورة فاطر آيه ٣٢

وهم المبشرون بالجنه فى قوله تعالى "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم وهم يحزنون أولئك أصحاب الجنه خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون"(١)

وأخص من هذه الكرامه الايمان والاستقامه ما يكرم الله به تعالى به بعض عباده وزيادة على الايمان والتقوى من الورع والقليل من المباحات والاكثار من نوافل العبادات من صلاة وصدقات ورباط وجهاد وصيام وحج وهؤلاء هم موصوفون بالمقربين والسابقين فى قول الله تعالى : "والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم • ثله من الاولين وقليل من الآخرين"(٢)

فهؤلاء فى أعلى مرتبه من مراتب الولايه اذ يعرفون باستقامتهم واستجابه ربهم لهم فيما يسألونه ويطلبون فلو سألوه زوال جبل لزال ولو أقسموا عليه تعالى لابرهم وهم الذين يظهر الله تعالى على أيديهم ببركه دعائهم خوارق العادات"(٣)

---

(١) سورة الاحقاف الايات ١٣، ١٤
(٢) سورة الواقعه الآيات ١٠ : ١٤
(٣) عقيده المؤمن ابو بكر جابر الجزائرى • دار الكتب السلفيه صـ ١٣٨، ١٣٩ •

الفصـل الخامـــــس

الســــــــمعيــات

المبحث الأول : اليــوم الآخــر وحقائقــه .

المبحث الثاني : أحــداث القيامــــــة .

المبحث الثالث : الملائكة والجن والشـــــياطين .

المبحث الأول

اليوم الآخر وحقائقه

أولا : معنى اليوم الآخر والحكمة منه ٠

ثانيا : اهتمام القرآن الكريم بتقرير الايمان باليوم الآخر ٠

ثالثا : أسماء اليوم الآخر فى ضوء القرآن الكريم ٠

رابعا : الساعة وعلاماتها ٠

تمهيد

السمعيات هي الأمور التي لا تؤخذ إلا بالسماع من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع العقل أن يعلمها بذاته وطريق ثبوتها هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة .

وهذه الأمور السمعية لا تخضع لأحكام دنيانا المادية المدركة بالحواس (١)

---

(١) الارشاد لامام الحرمين الجويني ص ٣٠١

الايمان باليوم الآخر ركن من أركان الايمان وجزء من أجزاء العقيدة ... فحين سأل جبريل عليه السلام الرسول - صلى الله عليه وسلم عن الايمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

اذن الايمان باليوم الآخر من العقائد الأساسية في الاسلام فهو واجب شرعا على كل مكلف، ولقد أكدت جميع الديانات السماوية على أهمية الايمان باليوم الآخر.

معنى اليوم الآخر:

اليوم الآخر هو الذي يفنى فيه هذا العالم الذي نحيا، فيموت كل من فيه من الأحياء وتتبدل الأرض والسموات ثم ينشئ الله النشأة الآخرة فيبعث الله الناس جميعا ويرد اليهم الحياة مرة أخرى لكي يحاسبهم على أعمالهم.

يقول صاحب كتاب عقيدة المؤمن "ان المراد من اليوم الآخر أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة بكاملها:

والثاني: اقبال الحياة الآخرة وابتداؤها، فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية اذ هو يوم واحد لا ثاني فيها البتة.

فالايمان باليوم الآخر مقتضى للتصديق باخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أهوال واختلاف أحوال كما هو مقتضى كذلك لتصديق الله تعالى في اخباره عن الحياة الآخره وما فيها من نعيم وعذاب وما يجرى فيها من أمور عظام كبعث الخلائق وحشرهم وحسابهم ومجازاتهم على أعمالهم الاراديه الاختياريه التى قاموا بها فى هذه الحياه الدنيا "(١)

اذن لم يخلق الله تعالى الانسان بيده وينفخ فيه من روحه ويفضله على ملائكته ويجعله سيد الكون دون غايه أو غرض فان ذلك عبث يتنزه عنه الله تعالى .. قال تعالى :

" أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون، فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم "(٢)

كما أن للانسان رساله وهى الخلافه عن الله فى الأرض وقد كلف بالقيام بواجبات هذه الخلافه وهو مسئول عنها أمام الله.

" لذلك كان اليوم الآخر لمجازاه المكلفيه منهم بحسب كسبهم الارادى الاختيارى الذى كسبوه فى هذه الحياه الدنيا قال تعالى

(١) عقيده المؤمن . أبو بكر جابر الجزائرى دار الكتب السلفيه ص ٢٤٩

(٢) سورة المؤمنون الآيات ١١٥، ١١٦ .

" كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور "(١)

هذا بالاضافة الى ان هناك تفاوت بين الناس فى الحياة فمنهم الفقير ومنهم الغنى ومنهم السليم ومنهم السقيم ومنهم المحسن ومنهم المسىء الى غير هذا من التفاوت والاختلاف فى الارزاق والاعمار والاعمال لذلك اقتضت الحكمة الالهية أن يكون هناك حساب وجزاء على الاعمال حتى تتحقق العدالة والرحمة الالهية قال تعالى : " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير "(٢)

وقال تعالى " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين "(٣)

اهتمام القرآن بتقرير الايمان بهذا اليوم :

والقرآن يهتم اهتماما بالغا بتقرير الايمان بهذا اليوم ويبدوا

(١) سورة آل عمران آية ١٨٥
(٢) سورة التغابن آية ٧
(٣) سورة النحل الآيات ٣٨ ، ٣٩

هذا الاهتمام باليـــوم الآخر فيمايلــى :

أولا : ربطه بالايمان بالله :

قال تعالى : " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر "(١)

وقال تعالى : " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم آجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ."(٢)

ثانيا : يكثــر القرآن من ذكره له فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه مع تقريبه الى الاذهان تاره بالحجة والبرهـــان وتاره بضـرب الامثـال .

وكذلك بالتأكيد على مجيئه ووقوعه قال تعالى " ذلـــك أن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شـى قدير وأن الساعة آتيه لا ريب فيها وأن الله يبعـــث من فى القبور ."(٣)

وقال تعالى : " اذا وقعت الواقعه ليس لوقعتهـــا كاذبه"(٤) وكذلك أكد القرآن الكريم على نسبه والفـلاح

---

(١) سورة البقرة آيه ١٧٧
(٢) سورة البقرة آيه ٦٢
(٣) سورة الحج الآيات ٦ ، ٧
(٤) سورة الواقعة الآيات ١ ، ٢

للمؤمنين به الذين يوقنون بمجيئه قال تعالى : " وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " (١)

ثالثا : أن المتتبع لآيات القرآن يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة وكل اسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم .

الاسماء التي أطلقت على اليوم الآخر في القرآن الكريم :

لقد تعددت أسماء هذا اليوم لأهميته ولكثرة ما فيه من وقائع وأحداث وسنذكر بعض منها :

فقد سمي بيوم الدين أي يوم الجزاء والحساب ، قال تعالى " مالك يوم الدين " (٢)

وسمي يوم الساعة نسبة الى الوقت الذي سيحدث فيه هذه الأحداث ، قال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر " (٣)

وسمي بيوم الحساب أي الحساب على الأعمال ، قال تعالى : " اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " (٤)

(١) سورة البقرة الآيات ٤ ، ٥
(٢) سورة الفاتحة آيه ٣
(٣) سورة القمر آيه ١
(٤) سورة غافر آيه ٢٧

وسمى بيوم القيامة أى الذى يقوم فيه الناس من القبور

قال تعالى : " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ".(١)

وسمى بيوم البعث أى اليوم الذى يبعث فيه الخلق .

قال تعالى : " وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون ".(٢)

وسمى الآخرة أى الحياة الثانية . قال تعالى :
" بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ".(٣)

وسمى بيوم الخلود لانه لانهاية له . قال تعالى :
" ادخلوها بسلام . ذلك يوم الخلود ".(٤)

وسمى الطامة الكبرى لانها مصيبة على الكافرين . قال تعالى : " فاذا جاءت الطامة الكبرى . يوم يتذكر الانسان ما سعى ".(٥)

وسمى الحاقة لانه اليوم الذى يحق فيه الحق . قال تعالى : " الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة ".(٦)

---

(١) سورة الزمر آيه ٦٠ (٢) سورة الروم آيه ٥٦
(٣) سورة الاعلى آيه ١٦، ١٧ (٤) سورة ق آيه ٣٤
(٥) سورة النازعات آيه ٣٤، ٣٥ (٦) سورة الحاقة آيه ١ : ٣

وسمى الواقعة لأنها تقع حتما لا محالة ، قال تعالــــى :
" اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة "(١)

الى غــير ذلك من الأسماء الكثيرة التى أطلقت علـــى اليــوم الآخر فى القرآن الكريم .

ثانيا : الساعة وعلاماتهـــا :

فالساعة كما نعلم هى الوقت الذى يموت فيه الأحياء فـــى هذا العالم ويضطرب نظامه وتختل موازينه وقانينه .

وقيام الساعة من الأمور التى استأثر الله تعالى بعلمها فلـم يطلع عليـــه أحد من خلقه لا نبيا ولا رسولا ولا ملكا .
قال تعالى : " ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فـى الأرحام "(٢)

اذن الذى اختص بعلم وقتها بالتحديد هو الله سبحانـــه وتعالـى قال تعالى : "يسألونك عن الساعة أيان مرساها . قـــل انما علمها عنـــد ربى لا يجليها لوقتها الا هو ".(٣)

---

(١) سورة الواقعة الآيات ١ : ٣
(٢) سورة لقمان آية ٣٤
(٣) سورة الأعراف آية ١٨٧

وقال تعالى : " يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ".(١)

وكانت حكمة الله فى أخفاء أمر الساعة حتى يتحقق الهدف منها وهو حث الناس على امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى والبعد عن معصيته.

وقد قال تعالى " فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ".(٢)

واذا كان علم الساعة قد استأثر به الله سبحانه وتعالى ولم يعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم .. لذلك أوضح لنا الرسول صلى الله عليه وسلم قرب الساعة بعلامات ودلائل ومظاهر تسبقها هذه المظاهر والعلامات منها الصغرى ومنها الكبرى.

العلامات الصغرى :

لقد ذكر فى القرآن الكريم أن الساعة قد قربت ، قال تعالى :
" اقتربت الساعة وانشق القمر ".(٣)

فمن العلامات الصغرى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وختم النبوة والرسالة به. فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الاحزاب آيه ٦٣ (٢) سورة محمد آيه ١٨
(٣) سورة القمر آيه ١

في الصحيحين : بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقرن بينهما .(١)

وهذا يدل على قرب مجيئها وليس العلم بوقتها لأن العلم بوقتها خاص بالله سبحانه وتعالى .

أيضا من العلامات الصغرى أن يصبح الملوك والأمراء والرؤساء من أولاد السراري .. كما يصبح أهل البداوة ورعاء الغنم من أصحاب الثروة والترف والقصور العالية والترأس على الناس.

ففي حديث لجبريل أنه سأل الرسول عن الساعة فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال : " فأخبرني عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان .(٢)

أيضا من علاماتها قوله صلى الله عليه وسلم " ولا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج يا رسول الله قال القتل بالقتل .(٣) وعن أبي هريرة أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعالى فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود"(٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون

---

(١) متفق عليه معنا ، اللؤلؤ والمرجان : ٣/ ٣١٤ والبخاري ٦/ ٢٠٦ ومسلم ٨/ ٢٠٨ ، ٢٠٩ والترمذي ، فتح الباري ج ١١ ص ٢٩٣

(٢) رواه البخاري ومسلم وفتح الباري ج ١ ص ٩٩ ـ ١٠٠

(٣) رواه مسلم ٨ ـ ١٧٠ ـ ١٧١

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٤٤

بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحد .(١)

وها نحن قد رأينا الحرب التى دارت بين العراق وايران وبين العراق والكويت والسعودية والتى حصد فيها الآلاف وضاع فيها الاموال وفسدت البيئة الطبيعية بالحرائق والسموم كما أصبح القتل والعدوان فى كل مكان .

أيضا من علامات الساعة رفع العلم واظهار الجهل وشرب الخمر وتقارب الزمن حتى تكون السنة كالشهر .

- فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج حتى يكون فيكم المال فيفيض .(٢)

وعنه رضى الله عنه أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : متى الساعة ؟ فقال : اذا ضيعت أمانة فانتظر الساعة . قال وكيف اضاعتها ؟ قال اذا أسند الامر لغير أهله فانتظر الساعة .(٣)

---

(١) اللفظ لمسلم ٨/ ١٧٠ واللؤلؤ والمرجان ٣/ ٣٠٣ والبخارى ٤/ ٢٤٣

(٢) أخرجه الشيخان وابن ماجه

(٣) أخرجه البخارى مع فتح البارى جـ١١ ص ١٧٩

أيضا من علاماتها خروج نار من أرض الحجاز فعن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الابل ببصرى (١)

وقد ظهرت هذه العلامة كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد احترقت الحرة الشرقية من المدينة النبوية واستمرت النار ملتهبة فيها مدة طويلة ولهيبها يرى من بصرى الشام وما زالت حجارتها سوداء محترقة كالفحم وكان ظهورها عام ٦٥٤ هـ .

العلامات الكبرى :

أولا : ظهور المهدى:

ان الاحاديث التى تثبت ظهور المهدى كثيرة وخلاصتها : أنه سيظهر فى آخر الزمان وأن اسمه محمد بن عبد الله أو أحمد ابن عبد الله (٢) وأنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة (٣) وأنه يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق (٤) وأنه أجلى الجبهة ، أقنى الانف وأنه يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وأنه يقيم شريعة الاسلام ويحى ما اندثر من سنة رسول الله عليه

---

(١) اللؤلؤ والمرجان ٣/ ٣٠٥ والبخارى ٩/ ٧٣ ومسلم ٨/ ١٨٠
(٢) رواه أبو داود والترمذى (٣) رواه أبو داود والحاكم
(٤) رواه أبو داود من كلام الامام على

الصلاة والسلام، وأن الاسلام تعلو كلمته في عهده حتى يلقى بجرانه الى الارض (١) ويمكن له ويكثر الرخاء في أيامه من وفرة العدل وكثرة ما يعطى من المال فهو يحثوا المال حثوا لا يعده عدا (٢) وأنه يمكث سبع (٣) سنين ويأتي بعده الدجال ثم ينزل عيسى فيتعاون عيسى مع المهدى على قتله ثم يتوفى المهدى ويصلى عليه المسلمون.

هذه خلاصة الروايات التي تحدثت عن المهدى ورويت في شأنه" وهي تخبر عن ظهور رجل صالح في آخر الزمان لاعلاء كلمة الله والتمكين للاسلام".

ثانيا : خروج المسيح الدجال :

هو رجل يهودى الاصل من جهة المشرق ولقب الدجال لشدة تدجيله وكذبه وهو يدعى الصلاح والاستقامة كما أنه يدعى الألوهية وقد ابتلى الله تعالى به عباده بما يجريه على يديه من عجائب وخوارق للعادات ولقد فاضت السنة تحذيرا وأخبارا ووصفا ومن أوصافه أن عينيه اليمنى عوراء جاحظة وطافية كالعنبة ولا يولد له ولد ولا يمكن من دخول مكة أو المدينة مكتوب على جبهته "كافر" يتبينها كل مسلم ويقتله عيسى

---

(١) رواه أبو داود (٢) رواه مسلم
(٣) رواه ابو داود

ابن مريم عليه السلام . وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتنته فى صلاته بعد التشهد قبل التسليم وأمر بذلك .. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع : عذاب جهنم ، عذاب القبر ومن فتنه المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال (١) " أخرجه مسلم .

روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال : انى لأنذركموه وما من نبى إلا و قد أنذر قومه ، ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه : انه أعور وأن الله ليس بأعور " (٢)

وروى الشيخان وغيرهما عن حذيفة أن عقبة قال له : حدثنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدجال قال يخرج وأن معه ماء ونار فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارا فانه عذب طيب (٣) فقال عقبة وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة ، قال الحافظ بن حجر فى شأن كيف يجرى الله الآيات الباهرة على يده من مثل احياء الموتى وهو من الآيات العظام التى لا تكون الا للأنبياء

فالجواب : أنه على سبيل الفتنه للعباد اذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق فى دعواه وأنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر اذ لو كان الها لأزال ، ذلك عن وجهه .

(١) أخرجه مسلم
(٢) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١٣ ص ٨٠ وصحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٥٩
(٣) رواه البخارى ومسلم فى صحيحه بشرح النووى ج ١٨ ص ٩١

صلى الله عليه وسلم وخطورة فتنته تكمن فى أن الله مكنه من احداث بعض الخوارق وجعل اليه مقاليد كثير من الخيرات ٠

ثالثا : نزول عيسى عليه السلام :

يستخلص من مجموع الأحاديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل فى آخر الزمان أثناء وجود الدجال ويكون نزوله هذا علامة من علامات الساعة الكبرى فيحكم بالقسط ويقضى بشريعة الاسلام ويحى من شأنها ما تركه الناس ويقتل الدجال ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ويدفن ثم تهب ريح تقبض أرواح المؤمنين جميعا فلا يبقى بعد ذلك إلا شرار الناس فلا يكون بعد الكمال الا الفناء والزوال ٠

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه اقرأوا إن شئتم " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا " (١)

أى ما من أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موت عيسى حين ينزل الى الأرض قبل قيام الساعة ، فنزول المسيح الى الأرض من أهم أشراط الساعة ومعنى نزوله أنه سيهبط الى الأرض بعد ابتعاده عنها كل هذه المدة الزمنية الطويلة فى مكان ما من ملكوت الله عز وجل وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التى أحياه الله بها اذ كان فى الأرض رسولا نبيا فيمكث فى الأرض مدة من الزمن يقيم عليها دعائم العقيدة

---

(١) رواه البخارى ومسلم

الاسلامية التي بعث بها هو والأنبياء كلهم لاقامتها وينفذ الشريعة الاسلامية الناسخة لجميع الشرائع السابقة والتي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام دون أن يؤيد خلال ذلك بوحي جديد من الله عز وجل ويؤيد هذه الحقيقة الآيات والأحاديث التي ذكرناها في بداية هذا الكلام ٠

رابعا : خروج يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج من ولد " يافث بن نوح " عليه السلام وهذا على الراجح ، ويكون خروجهم بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ٠ قال تعالى : " حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون " (١)

وذكر هؤلاء القوم يرتبط باسم " ذى القرنين " فمن هو؟ وما علاقته بيأجوج ومأجوج ؟

هو رجل صالح قيل إنه نبي من أنبياء الله وقيل إنه ملك صالح وقد جاء ذكره في القرآن الكريم حيث أنه هو الذى بنى السد دون يأجوج ومأجوج ليحول بينهم وبين جيرانهم الضعفاء الذين استغاثوا به منهم — قال تعالى : " قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ٠ قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ٠ آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا ٠ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ٠ قال

---

(١) سورة الأنبياء آية " ٩٦ "

هذا رحمة من ربى ٠ فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا " (١)

فهذه الآيات هي أصدق مرجع في الحديث عن يأجوج ومأجوج فهي تقول لنا عنهم أنهم قوم ملأوا الأرض جورا وفسادا وتخريبا فاستعان من لحق بهم فسادهم وتخريبهم بذى القرنين فأقام لهم سدا ليكون حائلا بينهم وبين هؤلاء القوم الضعفاء ٠٠ وسيظل هذا السد قائما حتى يتحطم باذن الله ويخرج من وراءه شعب يأجوج ومأجوج يحملون الخراب والفساد حينئذ يكون ايذانا بقرب الساعة وعلامة من علاماتها فقد قال تعالى :
"فاذا جاء وعد ربى جعله دكا ، وكان وعد ربى حقا " (٢) هذا وقد ورد فيهم أحاديث كثيرة منها ما أخرجه الامام مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء " (٣)

خامسا : خروج الدابة :

لقد تحدث القرآن الكريم عنها فقال تعالى " واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون " (٤)

فهى حيوان لا يعلم شكله ولا هيئته إلا الله سبحانه وتعالى يظهر للناس قبيل قيام الساعة ويصف كلا منهم بصفته من الايمان أو الكفر واختلف في وقت خروجها هل هى قبل طلوع الشمس من مغربها أم بعدها ، فالبعض من العلماء يرى أنه قبيل قيام الساعة يخرج الله تعالى دابة من الأرض تميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم ويرجعوا عما هم عليه من الكفر ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها فلا يقبل بعد ذلك منهم توبة وسقط التكليف الشرعى من الله تعالى ثم كان قيام الساعة على اثر ذلك ٠

والبعض الآخر من العلماء يرى أن طلوع الشمس من مغربها يكون

---

(١) سورة الكهف آيه من ٩٤ : ٩٨ (٢) سورة الكهف آيه ٩٨
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٦٨
(٤) سورة النمل آيه ٨٢

قبل خروج الدابة ثم بين الحكمة فى ذلك أنه عند طلوع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة فتخرج الداية لتميز المؤمن والكافر تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة وظاهر الأحاديث يدل على أن خروجها يكون بعد وفاة عيسى عليه السلام أما قبل طلوع الشمس من المغرب بقليل أو بعدها بقليل ... فالله تعالى أعلم .(١) وقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابه على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا .(٢)

سادسا : طلوع الشمس من مغربها :

قال تعالى " يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا . قل انتظروا إنا منتظرون(٣)

فطلوع الشمس من المغرب آية الله تعالى التى يغلق معها باب التوبة .. فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا (٤)

فطلوع الشمس من المغرب ايذانا باضطراب الكون وخراب العالم وهذا يقين انشاء الله .. ويترتب عليها كما ذكرنا غلق باب التوبة ويسقط التكليف فلا يقبل حينئذ عمل من أحد .

(١) العقيدة الاسلاميه فى ضوء النقل والعقل والقلب د . عبد السلام محمد عبده ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ .
(٢) فتح البارى ج ١١ ص ٢٩٧ ، شرح النووى ج ١٨ ص ٧٧
(٣) سورة الانعام آيه ١٥٨
(٤) سورة الآنعام

وبعد فنكتفى بذكر هذه العلامات التى تسبـــق قيـا م الساعة وقـــد اعتمدنا فـــى توضيحها علـى كتاب اللـــــــه وسنـــة رسول اللـــه صلى الله عليـــه وسلم . وكما علمنا أن هـــذه العلامات هى دلائل وقوع الساعة ومعنـــى ذلـــك خـــراب العالم وانتهاء الحيـــاة الاولى لتبدأ القيامة وما فيها من أحـــداث تتبعها الحياة الآخـــرة .. فالى أحداث القيامة..

المبحث الثاني

أحداث القيامة

أولا : البرزخ وما فيه .

ثانيا : البعث .

ثالثا : الحشر .

رابعا : الشفاعة .

خامسا : الحساب .

سادسا : الصراط .

سابعا : الحوض .

ثامنا : الجنة والنار .

المبحث الثانى

أحداث القيامة

اذا استكملت علامات الساعة الصغرى والكبرى وحانت لحظة القيامة المعلومة لله سبحانه وتعالى والمجهولة لجميع الخلق .. ذلك الميعاد أو الميقات الذى ينتهى عنده أجل الدنيا وتنعدم فيها الحياة حيث يتبدل نظام الكون ومعالمه هذه اللحظة التى يسميها القرآن بالساعة ، وعندها تحدث الأحداث التى أخبرنا بها القرآن الكريم من بعث وحشر وحساب حيث أن هذه الأحداث لا يستقل العقل بمعرفتها وانما أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى فى كتبه واخبار رسله عليهم الصلاة والسلام . حيث قال تعالى " واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق . ذلك يوم الخروج . إنا نحن نحى ونميت والينا المصير . يوم تشقق الأرض عنهم سراعا . ذلك حشر علينا يسير " (١)

وقبل أن تسترسل فى حديث القيامة وأحداثها لا يفوتنا أن نقف برهة أمام حقائق البرزخ وما فيه .

أولا : البرزخ وما فيه :

بين الموت الذى تنتهى به الحياة الأولى وبين البعث الذى تبتدئ فيه الحياة الثانية فترة جاءت تسميتها فى القرآن بـ " البرزخ " أى الفترة بين الحياة المادية الأولى والحياة المادية الثانية .

---

(١) سورة ق آيات ٤١:٤٤

قال تعالى : " حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت . كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون " (١)

ومعنى البرزخ في اللغة أي الحاجز بين الشيئين وفترة البرزخ أي التي في القبر الذي يستقر فيه جسد الانسان بعد مفارقته للحياة ولو كان جوف الوحش أو حوصلة الطير وكذلك لو أحرق وذرى في الرياح .

أحداث القبر :

ان ما يحدث في القبر هو السؤال ثم النعيم أو العذاب .....
وسؤال القبر وما يترتب عليه من نعيم أو عذاب أمور ممكنه عقلا وردت بها السنة الصحيحة كما وردت في كتاب الله عز وجل فوجب الايمان بها دون حاجة الى صرف النصوص عن ظاهرها .(٢)

وقد أجمع أهل الأديان السماوية على الاعتراف بسؤال القبر ونعيمه وعذابه وانكار ما في القبر من سؤال ونعيم وعذاب لا يصح حيث أن الأحاديث الصحيحة قد وردت في عذاب القبر ونعيمه ودل ظاهر كتاب الله تعالى على ما فيه . ويذكر شارح المقاصد مخالفة بعض المعتزلة لذلك فقال : ونسب خلافه الى بعض المعتزلة . قال بعض المتأخرين منهم : حكى انكار ذلك عن ضرار بن عمرو وانما نسب الى المعتزلة لمخالطة ضرار اياهم .(٣)

سؤال القبر :

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الانسان المكلف اذا مات جاءه ملكان يقال لأحدهما المنكر ويقال للآخر النكير فيسألانه الأسئلة الآتية :

(١) سورة المؤمنون الايات ٩٩، ١٠٠
(٢) المواقف . لعضد الدين الايجي ص ٣٨٢
(٣) شرح المقاصد . للامام سعد الدين التفتازاني ج ٥ ص ١١٣

من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟

أما المؤمن : فيقول الله ربى والاسلام دينى والمبعوث فينا هو محمد صلى الله عليه وسلم فيعرض عليه مقعده من الجنة بعد أن يعرض عليه مقعده من النار لو لم يكن قد مات مؤمنا .

أما الكافر : فيقول لا أدرى . فيضرب بمضارب ومطارق من حديد ويضيق عليه القبر تعذيبا له .

فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ـ لمحمد صلى الله عليه وسلم ـ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد أبدل لك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا . وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين "(١) " ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه " .

" وعن عثمان رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبت فانه الآن يسأل "(٢)

عذاب القبر ونعيمه :

وبعد سؤال القبر تأتى مرحلة أخرى هى مرحلة من

(١) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى واللفظ للبخارى

(٢) أخرجه أبو داود والبزار والدار قطنى والبيهقى والحاكم وصححه .

الجـزاء الربانى بالثواب أو العقاب قال تعالى :

" أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنـــوا وعملوا الصالحــات سواء محياهم ومماتهم . ساء ما يحكمون " (١)

فهذه الآية تثبت الجـزاء فى القبر حيث تدل على نفـــى التسوية بين الفريقين المذكورين فــى الممات فالقبر روضة مـــن رياض الجنة أو حفـرة من حفــر النار .

ويستمر الحال هكذا الى أن ينفخ فــى الصور ايذانا بقيـــام الساعــة .

اذن هذه الفترة يلقى فيها الميت معاملة تتناسب مـــع عمله فى الدنيا وتكون مقدمة لما سيلقاه فى القيامة . ويصرح الامام أبـــى الحسن الاشعرى بانكار المعتزلة لعذاب القبر خلافا للنبى صلى اللـــه عليه وسلم وأصحابه فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة وروى عن أصحابه رضى الله عنهم وما روى عن أحد منهم أنه أنكـــره ونفاه وجحدت فوجب أن يكون اجماعا من أصحاب النبى صلى اللـــه عليه وسلم . وروى أبا بكر بن أبى شيبة قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم " نعوذ بالله من عذاب القبر " (٢)

ويؤيد ذلك شارح الطحاوية فيذكر أنه ورد فى الصحيحيـــن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبـرين فقال " انهما ليعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء مـــن البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وقال لعله يخفف عنهما ما يبيســـا " (٣)

(١) سورة الجاثية آية ٢١
(٢) الابانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الاشعرى ص ٦٦، ٦٧
(٣) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لابن أبى العز ص ٢٦٣

وايضاً فالدليل على نعيم القبر وعذابه هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم " القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار " وقوله تعالى: " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ".(١)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ".(٢)

الفائدة من عذاب القبر: وأما فائدة عذاب القبر وكونه مصلحة للمكلفين فانهم متى علموا أنهم ان أقدموا على القبحات وأخلوا بالواجبات عذبوا في القبر ثم بعد ذلك في نار جهنم كان ذلك صارفا لهم عن القبائح داعيا الى الواجبات.(٣)

ثانيا : البعث:

تعريفه : هو احياء الله تعالى الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع اجزائهم الاصلية والاجزاء الاصلية هي التي من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ولو قطعت قبل موته.(٤)

وقد أجمع أهل الاديان السماوية على اثبات البعث ودل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .... اذن فالايمان بالبعث واجب حيث أنه من الاركان الاساسية للايمان ومنكره كافر والعياذ بالله.

(١) سورة غافر آيه ٤٦ (٢) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي
(٣) شرح الاصول الخمسه للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٢
(٤) العقيدة الاسلاميه في ضوء النقل والعقل والقلب د. عبد السلام محمد عبده ص ٤٩٦

وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في كثير من آياته ، قال تعالى : " ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون " (١)

وقال تعالى : " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم . وذلك على الله يسيرا " (٢)

وقال تعالى " ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحى الموتى وانه على كل شئ قدير وأن الساعة آتيه لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور " . (٣)

---

(١) سورة المؤمنون آيه ١٦ (٢) سورة التغابن آيه ٧
(٣) سورة الحج الايات ٦ ، ٧

أدلة البعث :

لقد استبعد بعض الناس حقيقة البعث حيث غفلوا عن قدرة الله تعالى التى لا يعجزها أى شيء فأنكروا البعث والاعادة مرة ثانية لذلك قامت الأدلة العقلية والنقلية العديدة على اثبات البعث .

الدليل العقلى :

لو كان وجود المعدوم ثانية ممتنعا لما وجد أولا لكن عدم وجوده أولا باطل بدليل مشاهدته فثبت امكان وجوده ثانية .ويمكن أن يقال : الاعادة أهون من الابتداء .وله المثل الأعلى لأنه استفاد بالوجود الأول ملكة الاتصاف بالوجود " (١) اذن فالاستدلال يعتمد على الوجود بابتداء حيث أن الاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول (٢)

الدليل النقلى :

لقد أقام القرآن الكريم عدة أدلة على البعث فى مواجهة هؤلاء المنكرون لهذه الحقيقة ، فهو سبحانه وتعالى يوضح أنه اذا كان قد خلقهم فى البدء من لا شيء فاعادته لهم ثانية أسهل من الانشاء ابتداء وله المثل الأعلى قال تعالى : " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم" (٣)

اذن فهو يقيس الاعادة على البدء لذلك قال تعالى :

" يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده " (٤)

وهو بذلك يرد على من يقصر عقله عن ادراك قدرة الله تعالى على اعادة الانسان مرة ثانية بعد أن يبلى ويصبح ترابا .

وفى الحديث الشريف روى أن أبىّ بن خلف أتى النبى صلى الله

---

(١) المواقف لعضد الدين الايجى .بيروت ص ٣٧١ ، الأربعين فى أصول الدين للامام الفخر الرازى جـ٢ ص ٣٩ ، ٤٠

(٢) قواعد العقائد .للامام الغزالى عالم الكتب ص ٢٢٠

(٣) سورة الروم ٢٧ ، ٢٨ (٤) سورة الانبياء آيه ١٠٤

عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال : أترى الله يحى هذا بعد ما رم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم يبعثك ويدخلك النار . فنزل قوله تعالى : " وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قال يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم "(١)

" واذا كان انكارهم للبعث يعتمد على استحالة الاعادة لمن استحال الى تراب فان القرآن الكريم يذكرهم بأن خلقهم كان من التراب أصلا ولذلك فان قصور أفهامهم لا يقدح فى قدرة الله تعالى على بعث من تحول الى التراب لأنه خلقه أولا كان من التراب قال تعالى : "يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا "(٢)

اذن فما وجه الغرابة فى أن يعودوا الى الحياة بعد أن يصبحوا ترابا وهم المخلوقين من التراب بداية .

بل أكد لهم قدرة الله تعالى على اعادة الأجساد بعد تحللها حتى لو تحللت الى غير التراب سواء تحولت الى

---

(١) سورة يس الآيات ٧٨، ٧٩ (٢) سورة الحج آية ٥

حديد أو حجارة أو أيـة مادة أخرى فان الله قادر على اعادتها من جديـد ، قال تعالى : "وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أنا لمبعوثون خلقا جديدا • قل كونوا حجارة أو حديـد أو خلقا مما يكبر فـى صدوركم فسيقولون من يعيدها قـل الذى فطركم أول مـرة ." (١)

كذلك أعطى الدليل على البعث بعد الفناء والاستحالة الـى التراب بالقدرة على بعث الارض الميته التى انقطع منها الامـل بالجدب والقحط فينزل اليها المـاء فتحيا وتعود اليها القدرة علـى النماء والانتاج والانبات قال تعالـى : "ومن آياته أنـك تـرى الارض خاشعـه فاذا أنزلنا عليهـا المـاء اهتزت وربـت ان الذى أحياها لمحـى الموتى انه على كـل شىء قدير" (٢) وقال تعالـى : "وترى الارض هامده فاذا أنزلنا عليها المـاء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيـج ذلك بأن اللـه هـو الحـق وأنه يحـى الموتى وأنه على كل شىء قديـر" (٣)

أيضا استدل القرآن الكريم على امكان البعث بذكر قـدرة اللـه تعالى فى خلق الاضداد بعضها من بعض • قال تعالى : "الذى جعل لكم من الشجـر الاخضر نارا فاذا أنتم منـه توقـدون" (٤)

---

(١) سورة الاسراء الآيات ٤٩، ٥١ (٢) سـورة فصلت آيه ٣٩
(٣) سورة الحج الآيات ٥ ، ٦ (٤) سورة يس آيه ٨٠

اذن فهو يقيس الاعادة على اخراج الاضداد من بعضهـــا البعض حيث أخرج النار من الشجر الاخضر .

" وليس أدل على البعث والاحياء بعد الاماته من قصـــه الذى مر على القرية (١) حيث قال تعالى "أو كالذى مـــر على قرية وهى خاويـــه على عروشها قال أنى يحيى هـــذه اللــه بعد موتها فأماته اللــه مائه عـام ثم بعثه قال كم لبثت قـــال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائه عام فانظـر الـــى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آيه للنـــاس وانظر الى العظام كيف ننشرهـا ثم نكسوها لحما فلما تبين له قـال أعلم أن الله على كل شـىء قديـــر" (٢)

أيضا ما كان من سيدنا ابراهيم عليه السلام حين أراد أن يرى كيف يكون البعـث والاحياء من الله تعالى للاحياء بعـــد موتها فقد قال تعالـــى "واذ قال ابراهيم رب أرنى كيـــف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلـــى ولكن ليطمئن قلبى قـــال فخـذ أربعه من الطـــير فصرهن اليـــك ثم أجعل علـــى كـــل جبـل منهن جـزءا ثم ادعهـــن يأتينـــك سعيدا واعلم أن اللــه عزيز حكيم . (٣)

---

(١) ذكر ابن كثير فى الجزء الاول ص ٣١٤ أنهم اختلفوا فيه فقيـل هو عزير وقيل هو أرميا بن حلقيا وقيـل هوحزقيل بن بـوار وقيل هو رجل مـــن بنى اسرائيل وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس.

(٢) سورة البقـرة آيه ٢٥٩ (٣) سورة البقـرة آيه ٢٦٠

فقد ذكر ابن كثير في تفسيره (١) قصة سيدنا ابراهيم مع الطير وكيف أنه ذبحهن وقطعهن ونتف ريشهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء على كل جبل جزء ثم صور لنا كيفية رجوعهن اليه وطلبهن الرؤسهن التي أخذها معه بعد أن عاد لكل طائر لحمه وريشه ودمه الذى تفرق ليدلنا هذا كله على مدى قدرة الله تعالى على بعثه للاحياء بعد مماتها .»

أيضا استدل القرآن الكريم على امكان البعث بتوضيح قدرة الله تعالى فى خلق السموات والارض . قال تعالى : " أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم . بلى وهو الخلاق العليم " (٢)

فقدرة الله تعالى التى خلقت
اذن فهو يقيس الاعادة على خلق السموات والارض .

وقال تعالى : " أو لم يروا أن الله خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير " (٣) كذلك استدل على البعث بوجوب وجود حياة أخرى يتم فيها الجزاء على الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ مكتبة الدعوة الإسلامية ص ٣١٥
(٢) سورة يس آية ٨١ (٣) سورة الاحقاف آية ٣٣

فقال تعالى : " تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا "(١)

وقال تعالى : " انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون "(٢)

وقال تعالى : " أيحسب الانسان أن يترك سدى "(٣)
وقال أيضا " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون "(٤)

ثالثا : الحشر :

بعد أن يبعث الناس مرة أخرى من قبورهم يتم حشرهم جميعا أحياء أى بجمع كل الخلائق فى ساحة واحدة ..قال تعالى: " يوم تشقق الارض عنهم سراعا . ذلك حشر علينا يسير "(٥)

والحشر يكون لجميع الخلائق من انس وجن وملائكه وكل دواب الارض وطيورهم .. اما حشر الانس والجن فلانهم مكلفون وأما حشر الملائكه فليقوموا بوظائفهم وفق سنه الله فى خلقه. قال تعالى : " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم "(٦)

---

(١) سورة الملك الآيات ١، ٢ (٢) سورة يونس آيه ٤
(٣) سورة القيامة آيه ٣٦ (٤) سورة المؤمنون آيه ١١٥
(٥) سورة ق آيه ٤٤ (٦) سورة الزلزله آيه ٦

"وأما دواب الأرض وطيورها فقد جاء في اثبات حشرها قوله تعالى : "وما من دابه في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون". (١)

وأما عن أحوال الناس وقت الحشر فيصورها حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيحين :

" يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا " قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم الى بعض؟ قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض". (٢)

ويحشر الكافرون على وجوههم لقوله تعالى :

" ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا . ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ". (٣)

وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم : كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال أليس الذى أمشاه على رجليه في الدنيا

---

(١) سورة الانعام آيه ٣٨

(٢) اللفظ لمسلم ٨/ ٥٦ واللؤلؤ والمرجان ٣/ ٢٩٤ والبخارى ٨/ ١٣٦

(٣) سورة الاسراء الآيات ٩٧، ٩٨

قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ "(١)

وروى مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يبعث كل عبد على ما مات عليه" أي ان من مات على خير بعث على حال سارة ومن مات على شر بعث على حال شنيعة"(٢)

ويتم حشر الخلائق في ساحه واحده تدعى عرصات القيامة وذلك لفصل القضاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يحشر الناس يوم القيامه على أرض بيضاء عفراء كقرصه النقى ليس فيها علم لأحد"(٣)

ويصور الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجرى على الناس يوم الحشر من أحداث منها الموقف العصيب الذى يكون قبل الحساب فعن المقداد بن عمرو رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تدنى الشمس يوم القيامه من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم ٨/ ١٣٥ والبخارى ٦/ ١٣٧ واللؤلؤ والمرجان ٣/ ٢٨٢.
(٢) رواه مسلم
(٣) اللفظ لمسلم ٨/ ١٢٧ والبخارى ٨/ ١٣٥

الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه "(١)

رابعا : القضاء والشفاعة : يقول أبو الحسن الاشعرى : قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة "(٢)

فبعد أن يجمع الخلائق ويحشر الناس الى ربهم انتظارا للحساب على الأعمال فيبلغ منهم العناء مبلغا عظيما لشدة الأهوال وصعوبة الموقف يتمنون لو أن يحكم الله تعالى فيهم حتى يريحهم من موقفهم هذا قال تعالى : " واذا الرسل اقتت لأى يوم أجلت ؟ ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين "(٣)

وقال تعالى : " هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين "(٤) ولما يطول الموقف ويزداد صعوبة يأتون الى آدم عليه السلام يطلبون منه الشفاعة لهم عند الله تعالى فيعتذر ويقول لهم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى . فيأتون المرسلين واحدا واحد فيعتذرون جميعا حتى يذهبون الى خاتم الانبياء وامام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها فيسجد لربه تحت العرش

---

(١) رواه مسلم ٨/ ١٥٨
(٢) الابانة عن أصول الديانة لابى الحسن الاشعرى ص٦٥
(٣) سورة المرسلات الآيات ١١/ ١٥
(٤) سورة المرسلات الآيات ٣٥ـ٤٠

ويلهمه ربه كلمات يحمده بهـا فلا يزال كذلك حتى يقول لـه الله تعالى : " ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيرفـع رأسه ويقول : يارب أمتى فيقال له : يا محمد ادخل الجنـه من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنه" وهـم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب " (١)

وقد روى الشيخان أنه عليه الصلاة والسلام قال : " أنـا أول شافع وأول مشفع " (٢)

أنواع الشفاعـة :

يذكر العلماء أن الشفاعة التى منحت للرسول صلى اللـه عليه وسلم هى أنواع منها :

١ ــ الشفاعة العظمى التى تعطى له صلى الله عليه وسلـم وهى فى ادخال أهل الجنة الجنة .

٢ ــ الشفاعة فى زيادة درجات أهل الجنة فوق ما كانت تقضيه أعمالهم . " وقد وافقت المعتزله على هذه الشفاعة خاصـه وخالفوا فى ما عداها من المقامات فقالوا كما يذكر صاحب المواقف : انما هى لزياده الثواب لا لدرء العقاب " (٣)

---

(١) رواه البخارى ومسلم (٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) المواقف للايجى عالم الكتب بيروت ص ٣٨٠

٣ ـ الشفاعة فيمن تساوت حسناته مع سيئاته ليدخل الجنة وفى من أمر يدخوله النار بأن لا يدخلها ٠

٤ ـ الشفاعة فى اخراج الموحدين من النار ٠

٥ ـ الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقه كعمه أبى طالب ٠(١)

٦ ـ الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ويفضل الاستشهاد بحديث عكاشه بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنه بغير حساب ٠(٢)

٧ ـ شفاعته فى أهل الكبائر من أمته فمن دخل النار فيخرجون منها فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ٠(٣) وهى المعتبره عند أهل السنه ويقسم العلماء فى الشفاعه الى آراء :

الأول : أهل السنه والجماعه حيث يقرون بشفاعته صلى الله عليه وسلم فى أهل الكبائر باذن الله تعالى ٠

الثانى : المعتزله والخوارج الذين أنكروا شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أهل الكبائر حيث اعتبروا الشفاعه لزياده الثواب لا لدرء العقاب ٠(٤)

---

(١) رواه مسلم وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى

(٢) صحيح متفق عليه (٣) المواقف للايجى ص ٣٨٠

(٤) المرجع السابق نفس الصفحه ٠

خامسا :- الحساب :

لقد علمنا أن يوم القيامة هو يوم الحساب أى اليوم الذى يحاسب الله سبحانه وتعالى الناس على ما عملوا من خير أو شر فتشهد الارض بما حدث عليها . قال تعالى : " اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض اثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثال ذرة شرا يره."(١)

وكما تتحدث الارض عن أخبارها تشهد الالسنة والايدى والارجل والجلود . قال تعالى : "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين".(٢)

الحكمة من الحساب:

" قال تعالى: " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شئيا وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين"(٣)

---

(١) سورة الزلزلة الآيات : ١، ٨ (٢) سورة النور الايات ٢٤، ٢٥
(٣) سورة الانبياء. آية ٤٧

فمن عدل الله وحكمته عدم التسوية بين البر والفاجر ولا بين المؤمن والكافر لان التسوية بينهم منتهى الظلم والسفه. قال تعالى: " أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون" (١)

وقال تعالى: " أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار ".(٢)

فان قاعدة الجزاء فى هذه الدنيا لا تسير على نحو عادل حيث لا يضطرد فيها الثواب والعقاب مع خيرية العمل أو شريته بل أحيانا لا تكون سعادة الانسان ثمرة لما يأتى من أعمال خيره أو لما يتصف به من فضيلة أو خلق حميد .. كما لا تكون شقاوته كذلك نتيجة لما يأتى من أعمال الشر أو لما يتصف به من رذيلة أو خلق سئ. فكثيرا ما نرى الاشرار من الناس بل والكفار منهم يعطون الصحة والمال والجاه ورغد العيش ويحيون فى بحبوحة من النعيم بينما نرى الاخيار وصالحى المؤمنين والاتقياء من الناس مبتلون بالمرض والفقر وضعف الجاه وضيق الرزق والسبب فى ذلك أن الله لا يضع قيمة أو أهمية لهذه الدنيا بل الاهمية كلها للحياة الاخرة. حيث قال تعالى :

---

(١) سورة الجاثية الآيات ٢١، ٢٢ (٢) سورة ص آية ٢٨

" ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هـــــي دار القــرار " (١)

اذن فنحن في حاجة ماسة الى الحساب على الاعمال حـــتى تتحقق العدالة الالهية ٠
لذلك قال تعالى : " لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنـــة اصحاب الجنة هم الفائزون " (٢) وقال تعالى " أفمن كـــان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون " (٣)

لذلك اقتضت الحكمة الالهية أن تكون الدار الاخـــرة هي دار الحســاب على الاعمال بالثواب أو العقـاب ٠
لذلك قال تعالى: " فأما من طغـى وآثـر الحياة الدنيا فـــان الحجـيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهـى النفس عـــن الهوى فان الجنة هي المأوى " (٤)

ويتوعد الله تعالى من ينسى هذا اليوم العظيم ٠ قـــال تعالى : " ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عـذاب شديـد بما نسوا يوم الحساب " (٥)

---

(١) سورة غافر اية ٣٩ (٢) سورة الحشر آيه ٢٠
(٣) سورة السجده آيه ١٨ (٤) سورة النازعات الآيات ٣٧ : ٤١
(٥) سورة ص آيه ٢٦

وكان المشركين يمارون في الساعة أشد المراء ويكذبون بهـــا كأعظم ما يكون التكذيب ويحلفون بالايمان المغلظة أن ذلك لن يكون فذكر الله تكذيبهم ورد عليهم : بأن ذلك مقتضى حكمته حتى يتميز الحق من الباطل ويأخذ كل ذى حق حقه قال تعالى : "وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت. بلى وعدا عليه حقا . ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (١)

وقال تعالى : " وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب." (٢)

أما وسيلة اثبات الاعمال والتأكد منها لكل انسان فمصدره كتابه الذى سجل فيه كل أفعاله وأقواله في هذه الدنيا وأيضا شهادة الملائكة الكرام الكاتبين الذين سجلوا هذه الاعمال عليه. قال تعالى: "وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه. ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . أقرأ كتابك. كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ." (٣)

وقال تعالى: " وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون ." (٤)

" ويختلف اعطاؤهم تلك الكتب فمنهم من يعطى كتابه بيمينه .

---

(١) سورة النحل آية ٣٨ (٢) سورة غافر آية ٢٧
(٣) سورة الاسراء الايات ١٣، ١٤
(٤) سورة الانفطار الايات ١٠: ١٢

ومن أمامه ومنهم من يعطى كتابه بشماله ومن وراء ظهره كل حسب عمله.

قال تعالى: " فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه انى ظننت أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشه راضيه فى جنه عاليه قطوفها دانيه كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخاليه وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضيه ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه" (١)

وقال تعالى: " فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا أو يصلى سعيرا " (٢)

سادسا: الصراط:

" هو جسر ممدود على ظهر جهنم يعبر عليه المؤمن وغير المؤمن" (٣)

والصراط على معنيين: أحدهما فى الدنيا وهو المنهج

---

(١) سورة الحاقه الآيات ١٩ : ٢٩

(٢) سورة الانشقاق الايات ٧ : ١٢

(٣) المواقف ، عضد الدين الايجى ، عالم الكتب بيروت ص ٣٨٣، الارشاد للجوينى ، ص ٣٧٩ مكتبه الخانجى
، نهاية الاقدام فى علم الكلام للشهرستانى ص
، الاحياء للامام الغزالى جـ١ ص ١٢٠

الذى شرعه الله لعباده وأمرهم باتباعه والاستقامه عليه.
قال تعالى : " وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ".(١)

أما المعنى الثانى : فالمقصود به الجسر الذى ينصب على نار جهنم يوم القيامة حيث يمر عليه الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم. وهو جسر دقيق يكون مرور الناس عليه كل حسب أعماله فى الدنيا ....

فمنهم من يمر عليه بسرعة كأنه البرق ... ومنهم يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس ومنهم من يسعى سعيا ... وهكذا تختلف الدرجات حسب الاعمال حتى يكون هناك من يحبو حبوا على يديه وركبتيه ويهلك من يهلك بسقوطه فى جهنم دار الخسران وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الصراط فى معرض حديثه عن الشفاعه العظمى والمقام المحمود الذى وعده به ربه تبارك وتعالى فى قوله " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا "(٢)

فقال صلى الله عليه وسلم : فيأتون محمد صلى الله عليه وسلم فيقول فيؤذن له وترسل الامانه والرحم فتقوما ن جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق قال : قلت بأبى وأمى أى شىء كمر البرق؟ قال : ألم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفه عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وأشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم

(١) سورة الانعام آيه ١٥٣ (٢) سورة الاسراء ايه ٧٩

سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجئ الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا . قال : وفى حافتى الصراط كلاليب معلقه مأموره بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار .(١) قال تعالى : " وان منكم الا واردها . كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا "(٢) وفى هذه الآية الكريمة يقول شارح الطحاوية : واختلف المفسرون فى المراد بالورود المذكور فى الآية ما هو والأظهر والاقوى أنه المرور على الصراط قال تعالى " ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: " والذى نفسى بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجره " قالت حفصه فقلت يا رسول الله : أليس الله يقول" وان منكم الا واردها " فقال ألم تسمعيه قال: " ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " أشار صلى الله عليه وسلم الى أن ورود النار لا يستلزم دخولها وأن النجاه من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال نجاه الله منهم ولهذا قال تعالى : "ولما جاء أمرنا نجينا هودا ـ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا " ولم يكن العذاب أصابهم ... وكذلك حال الوارد فى النار يمرون فوقها على الصراط ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا ... كما روى أبو بكر بن أحمد بن سليمان النجار عن يعلى ابن منبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تقول النار للمؤمن يوم

---

(١) أخرجه مسلم ١/١٢٩، ١٣٠

(٢) سورة مريم الايات ٧١، ٧٢

القيامة جزيا يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي".(١)

" ويقول صاحب المواقف " ان جميع ما جاء به الشرع من الصراط ... حق. والعمدة في اثباتها : امكانها في نفسها اذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته، مع اخبار الصادق عنها وأجمع عليه المسلمون قبل ظهور المخالف ونطق به الكتاب نحو قوله تعالى : " فاهدوهم الى صراط الجحيم، وقفوهم انهم مسئولون".(٢)

وأنكره أكثر المعتزلة وتردد قول الجبائي فيه نفيا واثباتا. قالوا . من أثبته ووصفه بانه ادق من الشعر واحد من غرار السيف كما ورد به الحديث ولا يمكن العبور عليه ، وان أمكن ففيه تعذيب المؤمنين ولا عذاب عليهم يوم القيامة.

الجواب : القادر المختار يمكن من العبور عليه ويسهل على المؤمنين كما جاء في الحديث في صفات الجائزين عليه أن منهم من هو كالبرق الخاطف ومنهم من هو كالريح الهابة

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٢٧٦
(٢) سورة الصافات الآيات ٢٣ ، ٢٤

ومنهم من هو كالجواد ومنهم من يجور رجلاه وتعلق يداه ومنهم من يجر على وجهه "(١) ويتفق الامام الغزالي مع الايجي في امكانه حيث قال: يجب التصديق به فان القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الانسان على الصراط "(٢)

سابعا: الحوض:

الحوض هو عطية من الله تعالى لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه هو وأمته بعد الموقف.

يقال ان ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من المسك من شرب منه شربه لا يظمأ بعدها أبدا.

قال تعالى: "انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر "(٣) ويقول صاحب المواقف أن ما جاء به الشرع من الحوض المورود حق لقوله "انا أعطيناك الكوثر "(٤)

روى الامام مسلم عن أنس رضى الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد اذا أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما. قلنا: ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال: لقد أنزلت على آنفا سورة. فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر. ثم قال أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة

---

(١) المواقف. عضد الدين الايجي ص ٣٨٤
(٢) الاحياء للامام الغزالي ج ١ ص ١٢٠
(٣) سورة الكوثر الآيات ١ : ٣
(٤) المواقف للايجي عالم الكتب بيروت ص ٣٨٣

آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتي فيقول: انك لا تدري ما أحدث بعدك".(١)

وعن ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لا يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول انهم أمتي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي".(٢)

ويذكر الامام أبو الحسن الاشعري رأي المعتزلة في ذلك حيث يقول: وأنكرت المعتزلة الحوض".(٣)

---

(١) رواه البخاري ومسلم
(٢) رواه البخاري ومسلم
(٣) الابانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص٦٦

ثامنا : الجنة والنار

وهما المكافأة والجزاء للايمان والكفر

اذا كان الله تعالى يكافىء الأبرار بالنعيم فانه يجازى الفجار بالجحيم .. فالجنة والنار هما ختام المطاف الذى يتم بهما الثواب أو العقاب من الله سبحانه وتعالى وهما العاقبة التى لابعدها عاقبة .

والمراد بالجنة : هى الدار التى أعدها الله تعالى للمتقين جزاء على ايمانهم الصادق وعملهم الصالح وأعلى نعيم الجنة :**هو رؤية الله عز وجل ومناجاته والفوز برضاه ،** قال تعالى :
" وجوه يومئذ ناضره . الى ربها ناظرة . " (١)

وعن صهيب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
" اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ يقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم . ثم تلا " الذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٢)

" وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنهما قال : " نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليله البدر فقال : انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته

---

(١) سورة القيامة الآيات ٢٢، ٢٣
(٢) رواه مسلم .

فان استطعتم ألا تغلبوا على صلاه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها "، فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها "(١)

ومما ورد عن رؤيه أهل الجنه لربهم عز وجل " بينما أهل الجنه في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنه فلا يلتفون الى شىء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون اليه تعالى حتى يحتجب عنهم وتبقى بركته ونوره "(٢)

أيضا يقول الله تعالى لأهل الجنه: يا أهل الجنه، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك. فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: يارب وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا "(٣)

ونعيم الجنة فوق ما يتصوره العقل فقد روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنهما ؛ ان النبى صلى الله عليه وسلم :قال:

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .
(٢) رواه ابن ماجه وغيره.
(٣) رواه البخارى ٨ / ٢٤٢ ومسلم واللفظ له ٨ / ١٤٤

عن رب العزة " أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ". (١)

فنعيم الجنة لا يشبهه شىء من نعيم الدنيا . فهو وان شابهه فى الاسم فهو مختلف عنه فى الصفه.

" فقد قال ابن عباس: ليس فى الدنيا من الآخره الا الأسماء " (٢)

" أما الجحيم والعياذ بالله فقد وصفها الله وصفا تنخلع منه القلوب حيث ذكر أن وقودها الناس والحجارة . قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " (٣)

وأكبر العذاب فى النار هو أن أهل النار محجوبون عن الله تعالى وهو أشد أنواع العذاب.

اختلاف العلماء فى وجود الجنه والنار :

اتفق أهل السنه على أن الجنه والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولكن خالفهم فى ذلك المعتزله والقدريه حيث قالوا يخلق الله الجنه والنار يوم القيامه لانه لا جدوى من خلقهم الآن

---

(١) رواه البخارى　　　　(٣) سورة التحريم آيه ٦

(٢)

ولأن وجودهما الآن يتنافى مع قوله تعالى "كل شيء هالك الا وجهه" (١)

ويجاب عليهم بوجهين :

الاول : قصه آدم وحواء واسكانهما الجنه واخراجهما عنها بالزلة على ما نطق به الكتاب واذا كانت الجنه مخلوقه فكذا النار اذ لا قائل بالفصل .

الثاني : قوله تعالى في صفتهما " أعدت للمتقين " " أعدت للكافرين " بلفظ الماضي وهو صريح في وجودهما " (٢)

ويبرهن صاحب الفصل في الملل والاهواء والنحل على أنهما مخلوقتان بعده براهين وأدله منها :

أنهما مخلوقتان لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنه ليله الاسراء والمعراج وأنه رأى سدره المنتهى وقد قال تعالى "عند سدره المنتهى عندها جنه المأوى" اذن جنه المأوى هي السماء السادسه وأخبر المولى عز وجل أنها الجنه التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة حيث قال تعالى " لهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون"

---

(١) سورة القصص آيه ٨٨

(٢) المواقف عضد الدين الايجي بيروت ص ٣٧٥

كذلك أخبر عليه السلام أن الفردوس الاعلى من الجنه التي أمرنا الله تعالى أن نسأله اياها فوقها عرش الرحمن والعرش مخلوق بعد الجنه وموجود الآن اذن فالجنه مخلوقه.
وكذلك اخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بشكوى النار الى ربها فأذن لها بنفسين.»(١)

كذلك يبرهن شارح الطحاويه على وجود الجنه والنار وأنهما مخلوقتان لاتفنيان أبدا ولاتبيد آن حيث قال: ان الله تعالى خلق الجنه والنار قبل الخلق وخلق لها أهلا فمن شاء منهم الى الجنه فضلا منه ومن شاء منهم الى النار عدلا منه ومن أدلته على ذلك:
ما روى عن دخول الرسول عليه الصلاه والسلام لها كما في الصحيحين في حديث أنس رضى الله عنه في قصه الاسراء وفي آخره " ثم أنطلق بى جبرائيل حتى أتى سدره المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى قال ثم دخلت الجنه فاذا هى جنات اللولؤ. واذا ترابها المسك"

كذلك من الادله ما روى عن دخول الروح الجنه قبل يوم القيامه حيث جاء في الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " انما نسمه المؤمن طير تعلق في شجر الجنه حتى يرجعها الله الى جسده يوم القيامه"

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم الظاهر دار المعرفه بيروت ج ٤ ص ٨٢

ومن الادلة التى استدل بها أيضا وصف سيدنا ابراهيم عليه السلام للجنه . فقد روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم ليله أسرى بى فقال يا محمد اقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنه طيبه التربه عذبه الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر .(١)

" ويستدل الامام البيهقى أيضا على أن الجنه والنار قد خلقتا وأعدتا لأهلهما بقوله : قال الله عز وجل " وسارعوا الى مغفره من ربكم وجنه عرضها " الايه آل عمران ١٣٣ فوصف عرضها والعرض لا يكون الا لمخلوق فأما المعدوم فلا عرض له وأخبر بأنها أعدت للمتقين والمعد لا تكون الا مخلوقه . وقال فى صفه النار " وقودها الناس والحجاره أعدت للكافرين " البقرة ٢٤
فأخبر أنها أعدت للكافرين والمعد لا تكون الا موجوده .(٢)

ويؤيد القرآن الكريم والسنه النبويه المطهره رأى أهل السنه فى أن الجنه والنار مخلوقتان الآن ومن ذلك .
قوله تعالى : فى الجنه : "أعدت للمتقين "(٣) وقوله تعالى : "أعدت للذين آمنوا بالله ورسله "(٤) وقوله عن النار " أعدت للكافرين "(٥)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداه والعشى وان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنه وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك يوم القيامه "(٦)

---

(١) شرح الطحاويه فى العقيده السلفيه لابن أبى العز ص ٢٧٩ : ٢٨١
(٢) كتاب البعث والنشور للامام الحافظ البيهقى
(٣) سورة آل عمران آيه ٣٣ (٤) سورة الحديد آيه ٢١
(٥) سورة آل عمران آيه ٣١ (٦) رواه البخارى ومسلم ومسند الامام احمد

المبحث الثالث
الملائكة والجن والشياطين

أولا : الملائكة .

ثانيا : الجن والشياطين .

المبحث الثالث

الملائكة والجن والشياطين

أولا : الملائكة :

الملائكة عالم لطيف غيبي غير محسوس لا يعلم حقيقتهم إلا الله تعالى . حيث لم يخبرنا القرآن الكريم ولا السنه المطهره عن حقيقتهم . وهم عباد مكرمون يواظبون على الطاعة ويظهرون فى صور مختلفة ويتمكنون من أفعال شاقة ومع كونهم أجساما أحياء لا يوصفون بذكوره ولا أنوثه ". (١)
وهم مطهرون من الشهوات الحيوانية ومنزهون عن الآثام والخطايا فهم لا يتصفون بشىء مما يتصف به البشر من الحالات المادية كالأكل والشرب والنوم ولكن الله تعالى أعطاهم القدرة على أن يتمثلوا بصورة البشر .. فقد جاء جبريل الى السيدة مريم متمثلا فى صورة بشرية قال تعالى : " واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . " (٢)

وأيضا فقد كان جبريل يتمثل للرسول عليه الصلاة والسلام فى صورة بشرية مثل صورة دحية الكلبى . (٣)

كذلك تمثلت جماعة منهم لسيدنا ابراهيم عليه السلام فى صورة آدمية .

---

(١) شارح المقاصد . للامام سعد الدين التفتازانى ص ٦٢
(٢) سورة مريم آيه ١٦ ، ١٧ (٣) مر الاستشهاد بذلك

وهم مخلوقين من النور كما خلق الله سبحانه وتعالى آدم من الطين وخلق الجان من النار .

روى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم ".(١)

وهم يسكنون السماء ولا ينزلون منها إلا بأمر الله تعالى . روى أحمد والبخارى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا به قال : فنزلت : " وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا .(٢)(٣)")

ولقد فضل الله سبحانه وتعالى البشر عليهم حيث أمرهم بالسجود لآدم . قال تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين .(٤)"

كذلك ميز الله سبحانه وتعالى آدم عليهم بالعلم والمعرفة فقال تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا . انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم . قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .(٥) "

---

(١) رواه أحمد والنسائى (٢) سورة مريم آيه ٦٤
(٣)
(٤) سورة البقرة آيه ٣٤ (٥) سورة البقرة الآيات ٣١ : ٣٣

الايمان بالملائكـــه :

لقد أوجب الله تعالى الايمان بالملائكه فقال تعالى : "ومــن يكفــر بالله وملائكتــه وكتبه ورسلــه واليوم الاخــر فقد ضــل ضــلالا بعيـــد ".(١)

ولقد جعل الله تعالى الايمان بالملائكة من البــر ٠ قال تعالى : " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة (٢).

وعالم الملائكة من الغيوب التى لا تدرك بالعقل أو بالحس وانمـــا السـبيل الى معرفته هو الوحـى ٠

وقد ورد ذكرهم فى الكتاب والسنة وانعقد الاجماع على وجودهـم قال تعالى : " إن الله وملائكته يصلون على النبى ٠ يا أيها الذيـــن آمنوا صلوا عليه وسلموا تســـليما " (٣).

وقال صلى الله عليه وسلم "ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكـــة بالليل وملائكة بالنهار ٠ (٤)

أعمال الملائكة :

وللملائكة أعمال يقومون بها ٠ وأعمالهم على نوعين : أعمال فى عالم الأرواح وأعمال فى عالم الطبيعة ٠٠ فمن أعمالهم فى عالم الأرواح :

---

(١) سورة النساء آيه ١٣٦ (٢) سورة البقرة آيه ١٧٧
(٣) سورة الاحزاب آيه ٥٦
(٤)

التسبيح لله تعالى وطاعته التامة . قال تعالى :

" إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون " (١)

أيضا من أعمالهم فى عالم الأرواح التسليم على أهل الجنة وتعذيب أهل النار .

أما عن أعمالهم فى الطبيعة ومع الانسان فهم يتدخلون فى الحروب لنصرة المؤمنين كما حدث فى بدر . قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ." (٢)

كما أن الملائكة يحضرون صلاة الفجر وصلاة العصر . قال تعالى :

" وقرآن الفجر . إن قرآن الفجر كان مشهودا ." (٣)

كما أنهم يكتبون الأعمال كما ذكرنا سابقا قال تعالى :

" وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون . " (٤)

وهم الموكلون بنزول الوحى وبقبض الأرواح . قال تعالى :

" وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . " (٥)

وقال تعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم . " (٦)

---

(١) سورة الاعراف آيه ٢٠٦ (٢) سورة الاحزاب آيه ٩
(٣) سورة الاسراء آيه ٧٨ (٤) سورة الانفطار آيات ١٠ : ١٢
(٥) سورة الشعراء الآيات ١٩٣، ١٩٤
(٦) سورة السجده آية ١١

وملك الوحى هو جبريل عليه السلام أما ملك الموت فهو عزرائيل • وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم •(١)

وهناك الكثير والكثير من أعمالهم ولا يمكن حصرها فى هذا المختصر •

عصمة الملائكة:

اختلف العلماء فى ذلك فالجمهور على أن الملائكة معصومون من الذنوب ومخالفة الله تعالى فى أى أمر وهناك من نفاها وله فى ذلك وجهان •

الاولى : ما حكى الله عنهم من قولهم : " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " ولا يخفى ما فيه من المعصية •

الثانى : ابليس عاص وهو من الملائكة بدليل استثنائه منهم فى قوله " فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس" وبدليل قوله تعالى " واذ قلنا للملائكة اسجدوا "

واجيب عن الاول : بأن الملائكة لم ترد بهذا القول غيبة آدم ولا تزكية أنفسهم ولا الظن السيء كما قد يتوهم انما أرادوا السؤال عن الحكمة فى خلق آدم فى الارض وكانوا قد علموا عن الله تعالى ما يحصل من ذريته من الافساد أو كان قولهم سببه أن الارض كانت مسكونة قبل آدم بمخلوقات أفسدت وسفكت الدماء

---

(١) رواه البخارى

واجيب عن الثاني : بأن الله وصف الملائكه بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وقد ذكر القرآن أن ابليس كان من الجن كما استثنى من الملائكه وذلك يدل على أنه منهم والتوفيق السليم هو أن يقال : ان ابليس كان من الجن حقيقه وكان من الملائكه حكما أى أنه لشد ه عبادته وبعد ه عن المخالفه أول الامر كان شبيهها بالملائكه فأخذ حكمهم .(١)

ثانيا : الجن والشياطين .

لقد خلق الله تعالى الجن من النار . قال تعالى : "ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم ".(٢)

وعالم الجن من الغيوب التى لا يستقل الانسان بمعرفتها بل يعلمها عن طريق الوحى . ولقد ورد ذكرهم فى القرآن الكريم والسنه المطهرة وانعقد الاجماع على وجودهم ولهم سورة خاصة بهم فى القرآن الكريم .

---

(١) المواقف . عضد الدين الايجى . بيروت ص ٣٦٦ ، ٣٣٧ ، شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازانى جـ٥ ص٦٢ ، ٦٣

(٢) سورة الحجر الايات ٢٦ ، ٢٧

وللجن عالم خاص بهم ولهم رسالات وفيهم مرسلون . قال تعالى :
" يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا . قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين . " (١)

كما أن منهم المسلمون ومنهم الكافرون . قال تعالى :
" وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون . فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . " (٢)

وقال تعالى : " وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك . كنا طرائق قددا " (٣)

كما ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة فى شأن الشياطين . قال تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . " (٤)

ومن رحمة الله بالانسان أن سخر له بعض الملائكة تحفظه من الجن والشياطين . قال تعالى :
" إن كل نفس لما عليها حافظ . " (٥)

ولقد كانت أسرار السماء معلومة للجن حتى بدأ نزول القرآن الكريم فمنعوا من استراق السمع .. قال تعالى :
" وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا

---

(١) سورة الأنعام آية "١٣٠"
(٢) سورة الجن آية ١٤، ١٥
(٣) سورة الجن آية "١١"
(٤) سورة البقرة آية "٢٦٨"
(٥) سورة الطارق آية "٤"

وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع • فمن يستمع الآن يجد له
شهابا رصدا • " (١)

هذا بعض ما ورد عن الجن والشياطين ويجب على المسلم أن يحذرهم أن يفتنوه عن دينه حيث أن منهم من يعمل على اغواء الانسان وإبعاده عن الصراط المستقيم • **والله اعلم •**

والله سبحانه وحده الموفق والهادى الى سبيل الرشاد •

والحمد لله رب العالمين •

---

(١) سورة الجن آية ٨ ، ٩

فهـــرس الكتـــاب

رقم الصفحـــه

المراجع

(١) القرآن العظيم ·

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقى ·

(٣) تفسير ابن كثير · للامام الحافظ ابن كثير ·

(٤) صحيح البخارى · للامام البخارى ·

(٥) صحيح مسلم · للامام أبى الحسين مسلم الحجاج ·

(٦) فتح البارى شرح صحيح البخارى · للامام ابن حجر العسقلانى ·

(٧) شرح النووى على صحيح مسلم ·

(٨) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ·

(٩) سنن الدارمى لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ·

(١٠) سنن أبى داود ·

(١١) اللؤلؤ والمرجان ···

(١٢) الابانة عن أصول الديانة · لأبى الحسن الأشعرى ·

(١٣) التبصير فى الدين · أبى المظفر الاسفرايينى ·

(١٤) الارشاد لامام الحرمين الجوينى ·

(١٥) أصول الدين · للامام البغدادى ·

(١٦) الأربعين فى أصول الدين · للامام فخر الدين الرازى ·

(١٧) الفتاوى الكبرى" شرح العقيدة الأصفهانية ، الرسالة التسعينية" لابن تيمية·

(١٨) التمهيد فى الرد على الملحده المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة·
الامام أبى بكر بن الطيب الباقلانى·

(١٩) المناظرة فى العقيدة الواسطية · ابن تيمية ·

(٢٠) الأسماء والصفات للبيهقى ·

(٢١) العقيدة الصغرى لسيدى أحمد الدردير شرح الشيخ اسماعيل ابن موسى الأحمدى
الأزهرى ·

(٢٢) الاقتصاد فى الاعتقاد . الامام الغزالى .

(٢٣) المقدمة لابن خلدون .

(٢٤) الملل والنحل للشهرستانى .

(٢٥) الرسالة التدمرية . لابن تيميه .

(٢٦) النبوات . لابن تيميه .

(٢٧) الفصل فى الملل والأهواء والنحل . ابن حزم الظاهرى .

(٢٨) المواقف فى علم الكلام : القاضى عبد الرحمن بن أحمد الايجى .

(٢٩) التعريف بالاسلام . للأستاذ عبد الكريم الخطيب .

(٣٠) التوحيد الخالص أو الاسلام والعقل . د . عبد الحليم محمود .

(٣١) الله . عباس محمود العقاد .

(٣٢) الاسلام عقيدة وشريعة . محمود شلتوت .

(٣٣) العقيدة الاسلامية فى ضوء النقل والعقل والقلب.د. عبد السلام محمد عبده.

(٣٤) الدين .د. محمد عبد الله دراز .

(٣٥) التفكير الفلسفى فى الاسلام . د١ عبد الحليم محمود .

(٣٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف باسم خطط المقريزى .للمقريزى.

(٣٧) البداية والنهاية لابن كثير .

(٣٨) الفلسفة الاسلامية فى المشرق والمغرب .

(٣٩) التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية . دمصطفى عبد الرازق .

(٤٠) الفلسفة الاسلامية فى المشرق والمغرب . د. عبد المعطى بيومى .

(٤١) الخلق الكامل . محمد أحمد جاد المولى .

(٤٢) احياء علوم الدين . الامام الغزالى .

(٤٣) العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع. د. محمد بيصار .

(٤٤) اعلام الموقعين . ابن القيم .

(٤٥) البعث والنشور للامام الحافظ البيهقى .

(٤٦) العقائد الاسلامية • السيد سابق •

(٤٧) تبسيط العقائد الاسلامية • حسن أيوب •

(٤٨) تيسير الاقتصاد فى الاعتقاد • د• صالح موسى شرف •

(٤٩) توضيح أصول الدين • د• سيد عبد التواب •

(٥٠) تهافت الفلاسفة للامام الغزالى • تحقيق د• سليمان دنيا •

(٥١) درء تعارض العقل والنقل لان تيمية • تحقيق د• محمد رشاد سالم •

(٥٢) رسالة التوحيد • للامام محمد عبده •

(٥٣) شرح البيجورى على الجوهرة • لشيخ الاسلام ابراهيم البيجورى •

(٥٤) شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازانى •

(٥٥) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ؛ لابن أبى العز •

(٥٦) شرح الأصول الخمسة • للقاضى عبد الجبار •

(٥٧) صون المنطق • الامام جلال الدين السيوطى •

(٥٨) ضحى الاسلام • أحمد أمين •

(٥٩) عقيدة السلف • لأبى عثمان الصابونى •

(٦٠) عقيدة المسلم • الشيخ محمد الغزالى •

(٦١) عقيدة المؤمن • أبو بكر الجزائرى •

(٦٢) قواعد العقائد • للامام الغزالى •

(٦٣) محاضرات فى علم التوحيد • د• سيد عبد التواب ••

(٦٤) منهاج السنة النبوية • لابن تيمية •

(٦٥) مدارج السالكين • لابن القيم •

(٦٦) مجموعة الرسائل الكبرى • لابن تيمية •

(٦٧) محاضرات فى التوحيد • الشيخ صالح موسى شرف •

(٦٨) نهاية الاقدام فى علم الكلام • للامام عبد الكريم الشهرستانى •

رقم الايداع بدار الكتـــــب

٩٣/٣١٨١

فبراير ١٩٩٣

